صفات الخوارج الخُلُقية والخلْقية
في النصوص الشرعية وآثار السلف
"جمعًا ودراسة"

دكتور/ صالح بن غرم الله بن حسن آل حسن الغامدي
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المساعد
قسم الدراسات الإسلامية – كلية التربية
جامعة الملك سعود– المملكة العربية السعودية

المستخلص:

تقوم فكرة هذا البحث على جمع الثابت والمعتبر من صفات الخوارج الخلْقية (الحسية)، والخُلُقية (المعنوية)، وأحوالهم ومواقفهم، الواردة في الأحاديث النبوية، وآثار السلف والأئمة، ودراستها دراسة تسهم في تجلية أمرهم وبيان القول الحق فيهم وفي مذهبهم، وتكشف عن أهم الدروس المستفادة من تاريخهم ومواقف أهل الحق منهم، وجاء البحث أيضاً ليكشف أمرهم ويجلي حقيقتهم ويحذر من مذاهبهم ومسالكهم بأدلة واضحة ثابتة بلغت حد التواتر؛ حتى لا يغتر الناس بظواهرهم ولحنهم بالقول. وقد توصل البحث إلى عدد من النتائج منها أنه لم يأتِ في السُّنَّةِ النبويَّةِ تحذيرٌ من فِرقةٍ بعينِها من فِرَقِ هذه الأمَّةِ إلَّا الخوارجَ، فقد ورَدَ فيها أكثَرُ من عِشرينَ حديثًا بسنَدٍ صحيحٍ، أو حسَنٍ، وما ذلك إلَّا لضرَرِهم الجَسيمِ على الأمَّةِ، والتباسِ أمرِهم على الناسِ واغترارِهم بهم؛ إذْ ظاهِرُهم الصَّلاحُ والتَّقوى، ولأنَّ مَذهبَهم ليس قاصرًا على الآراءِ والأفكارِ، بل يتعدَّى ذلك إلى سَفْكِ الدِّماءِ.

الكلمات المفتاحية: الخوارج – الصفات الحسية – الصفات المعنوية – آثار السلف والأئمة.

Kharijites Congenital (physical) and moral (spiritual) traits in the legal texts and the antiquities of the predecessors: "collection and study"

Dr. Salih Bin Ghormallah Bin Hassan Al Hassan Al-Ghamdi
Assistant Professor of Faith and Contemporary Doctrines -
Department of Islamic Studies
College of Education - King Saud Univ

ABSTRACT

The idea of this research is based on collecting the established and considered characteristics of the congenital (physical), and moral (spiritual) of Kharijites, their conditions and attitudes, which are contained in the Prophetic hadiths, and the works of the predecessors and imams, and studying them as a study that contributes to clarifying their matter and clarifying the truth about them and their doctrine, and reveals the most important lessons learned from their history and the positions of the people of truth from them. The research also came to reveal their matter, clarify their truth and warn against their doctrines and paths with clear and consistent evidence that reached the level of mutawatir; so that people are not deceived by their words and their melody. The research reached a number of results, including that there was no warning in the Prophetic Sunnah against a particular sect of this nation, except for the Kharijites. More than twenty hadiths were included in them with a valid chain of transmission, or a good chain of transmission. And that is only because of their grave harm to the nation, their confusion over the people and their deceiving them. Their appearance is righteousness and piety, and because their doctrine is not limited to opinions and ideas, but rather goes beyond that to bloodshed.

Keywords: Kharijites - Sensory Attributes - Spiritual Attributes - Traces of the predecessors and Imams.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الأمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعدُ:

فإن البحث في موضوع الخوارج يعد أمراً ذا أهمية يفرضها واقع الحال وأحداثه التي يعايشها أهل الإسلام اليوم وتؤثر تأثيرًا بالغًا في مستقبلهم الفكري والوجودي، هذه الأحداث التي يمثل فيها هؤلاء الخوارج أدوات قتل وتخريب وإفساد يسلطها أعداء الإسلام من كل ملة ونحلة ويستغلونها في النيل من المسلمين وتشويه دينهم وتفريق كلمتهم وإضعاف شوكتهم، فهم كانوا منذ خروجهم في صدر الأمة الأول وما زالوا حربا على أهل الإسلام وسلمًا لأعدائه شعروا بذلك أم لم يشعروا، فصدق فيهم ما أخبر به النبي -ﷺ- من أن حالهم يؤل إلى أنهم "يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان"(١).

والخوارج منذ ظهورهم، كان لهم مواقف سوء مع سلف الأمة الصالحين من الصحابة والتابعين من التعدي على حرماتهم والتقدم بين أيديهم بالقول الباطل والرأي الفاسد، وانتقاصهم والتأليب عليهم ونشر مقالة السوء عنهم، وسفك الدماء المعصومة، وتكفير الخلق والإفساد في الأرض بالتأويلات الباطلة والآراء القاصرة، هم اليوم يعودون لأدوارهم البغيضة وأفعالهم القبيحة بنفس الأساليب بل أنكى وأشد تعرفهم بسيماهم، وتنبئك مظاهرهم عن مخابرهم، لهم صفات وأحوال ظاهرة وباطنة، وردت في النصوص الشرعية وآثار السلف المرعية، تجلي أمرهم وتوقف المسلم على سر خطورتهم ووجوب الحذر منهم.

ومما يدل على عظيم خطرهم وفساد أمرهم، أنه لم يرد في السنة النبوية من الأحاديث المحذرة والمبينة لحال فرقة من الفرق مثلما ورد في الخوارج، إذ تواترت الأحاديث الواردة فيهم مبينة صفاتهم وأحوالهم، ومحذرة من مذهبهم ورأيهم وضلالهم؛ وذلك لما تمثله هذه الفرقة من خطر على دين الإسلام ودولته يتمثل في تقويضهم لدولة الإسلام، بافتعال الحروب والنزاعات بين المسلمين التي تؤدي لإضعافهم وتجعلهم مطمعًا لأعدائهم، وأما خطرهم على الدين فيتمثل في سوء منهجهم في التعامل مع النصوص، وما يستتبع ذلك من فهوم خاطئة تبنى عليها سلوكيات غاية في البشاعة ومواقف في دركات الوضاعة، ومكمن الخطورة الأشد في مذهب الخوارج ومسلكهم يأتي من اتصاف الغالب من هؤلاء الخوارج بصفات فيها مغالاة وتشديد في التعبد والتأله والصيام والصلاة وقراءة القرآن بما يغري بهم كثيراً من الناس فيحسنون الظن بهم إحسانًا يدفعهم

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد. باب قول الله تعالى: (تعرج الملائكة والروح إليه) (١٢٧/٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٧٤١/٢).

إلى اعتقاد صحة أفكارهم وأعمالهم، ولذلك كان اهتمام النبي –ﷺ– ببيان شأنهم وأحوالهم وصفاتهم تحذيرًا وتنبيهًا لأمته كيلا يغتروا بظواهرهم الخادعة وأفعالهم الماكرة.

وإن مما يجب التذكير به في هذا المقام أن الخوارج كمنهج ومذهب ليسوا حقبة تاريخية قد مضت وانقضت بآثارها السلبية المدمرة لتُدرس على أنها ظاهرة تاريخية وحسب، بل هم بعقائدهم وصفاتهم ومناهجهم وتعاملهم وغلوهم وفساد رأيهم وسعيهم بالفساد في الأرض والفرقة بين العباد باقون متجددون عبر القرون، كلما قطع منهم قرن نبت آخر، إلى أن يظهر فيهم المسيح الدجال فيكونوا أتباعه وأعوانه، ومذهبهم كذلك ليس مجرد آراء فكرية أو نظريات فلسفية كما هو شأن كثير من المذاهب الفلسفية والكلامية، بل يتعدى الأمر إلى كونه أحكامًا تكفيرية استئصالية تتبعها مواقف عدوانية تجاه المخالفين، لهم قائمة على سفك الدماء واستحلال الحرمات بكل صورها والعنف ومحو المخالف، وهذا الذي استحقوا به أن يكونوا شرار الخلق والخليقة.

ومن هذا المنطلق جاءت فكرة هذا البحث المتمثلة في جمع الثابت والمعتبر من صفات الخوارج الخلْقية (الحسية)، والخُلُقية (المعنوية)، وأحوالهم ومواقفهم، الواردة في الأحاديث النبوية، وآثار السلف والأئمة، ودراستها دراسة تسهم في تجلية أمرهم وبيان القول الحق فيهم وفي مذهبهم، وتكشف عن أهم الدروس المستفادة من تاريخهم ومواقف أهل الحق منهم.

إن تنصيص النبي –ﷺ– على أهم صفاتهم وذكر أخطر أحوالهم وما ورد عن السلف الصالح في ذلك أيضًا، جاء ليكشف أمرهم ويجلي حقيقتهم ويحذر من مذاهبهم ومسالكهم بأدلة واضحة ثابتة بلغت حد التواتر؛ حتى لا يغتر الناس بظواهرهم ولحنهم بالقول، فإنهم يقولون من خير قول البرية، لكنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، كما ثبت بذلك الخبر عن رسول الله –ﷺ–[(١)]، وقد أكد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـــ رضي الله عنه وقد خرجوا في زمانه وابتلي بهم ـــ على ما أكده له النبي ﷺ وأخبره من صفاتهم، وأنهم يقولون الحق لا يجاوز حلوقهم، وأنهم من أبغض خلق الله إليه فعن عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ: أن الحرورية لما خرجت، وهو مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قالوا: لا حكم إلا لله ــ أرادوا أن علياً رضي الله عنه لم يحكم بما أنزل الله، لما حكّم الرجال في شأن خلافه مع معاوية ومن معه من أهل الشام! ــ قال علي:" كلمة حق أريد بها باطل، إن رسول الله ﷺ وصف ناساً، إني لأعرف صفتهم

(١) الحديث أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قراءة الفاجر والمنافق (١٦٢/٩)، ومسلم كتاب الزكاة باب الخوارج شر الخليقة (٧٥٠/٢).

في هؤلاء، يقولون الحق بألسنتهم لا يجوز هذا منهم ــ وأشار إلى حلقه ــ من أبغض خلق الله إليه" [١].

وعليه فليس لأحدٍ أن يُدخل في الخوارج وأحكامهم، أو يخرج منهم من يشاء بمجرد الظن وما تهوى الأنفس، وإنما مرد هذا الأمر لما هو ثابت في النصوص الشرعية وأقوال السلف الصالح من صفاتهم، وأصولهم، وأخلاقهم وأحكامهم، ومن هنا تأتي أهمية الاستقصاء الفاحص لما ورد في النصوص من صفاتهم ولاسيما النبوية منها ومحاولة استجلاء ما ينبني عليها من أحكام ومواقف بعلم وعدل.

إن من يتفحّص في صفات سلف الخوارج وأحوالهم، ثم ينظر في صفات مستأخريهم وأحوالهم ومواقفهم؛ يظهر له وجه الشبه الكبير بينهما، وهذه الجُملة التي سنجليها من صفاتهم، وأحوالهم ومواقفهم، يستفاد منها أن الخوارج المعاصرين، ليسوا امتداداً للناحية العقائدية للخوارج الغابرين فحسب، بل ينسحب هذا الامتداد على التركيبة (النفسية)، والصفات الخُلُقيّة، ومستوى التفكير وحدوده، فضلاً عن الصفات الخلقية التي تظهر في سحنات وجوههم وملامحهم وباقي سماتهم، وهذا يُفسّر سرّ (القوّة الشَّبهيّة) بينهما في قبح السيرة، وسوء السريرة وفساد المذهب وضلال المعتقد، غير أن خوارج اليوم قد أفرطوا في بسط أيديهم وألسنتهم بالسوء في صور وأساليب تعجز عنها السباع الضواري، وكانوا على الأمة سوط عذاب، فهؤلاء القوم كما كان أسلافهم لا يُرضيهم لا حاكم ولا محكوم، لا يرضيهم الحاكم المسلم ولو أمّن السّبل، ونشر العدل، وأوسع العمارة، وذبّ عن الحوزة، وأمن للناس ما يحتاجونه في مصالحهم ومعايشهم؛ فإنهم لا يقابلون كل هذا إلا بالنكران، والكذب والمكابرة وتأليب الناس على الخروج عن الجماعة ونزع يد الطاعة ومواقف أسلافهم مع أمراء المؤمنين عثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز ﷺ، بل موقف مقدمهم في الضلال مع رسول الله ﷺ خير شاهد ودليل على هذا المنهج الفاسد الذي سلكوه الذي يهدم الدين ويتبع غير سبيل المؤمنين، أما عامة الناس المخالفون لهم فغالب فرق الخوارج يحكمون عليهم في الدنيا بأنهم كفار مرتدون تجب مقاتلتهم ولا حرمة لهم، وفي الآخرة هم من أهل النار الخالدون المخلدون، فهؤلاء الخوارج المتهوكون لا نور لعقولهم، ولا فقه ولا حكمة في أقوالهم أو أفعالهم، حدثاء الأسنان سُفهاء الأحلام، كما نعتهم بذلك سيّدُ الأنام. [٢]

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج (٧٤٩/٢).

(٢) انظر: تخريج الحديث السابق.

ويكفيك في هؤلاء الخوارج المتسرعين بالبطش والفتك بأهل الإسلام، ما أعدّه الله لهم ولمن سلك سبيلهم في البغي والعدوان من النكال الوجيع والانتقام السريع في الدنيا قبل الآخرة.

ولتحقيق الهدف من هذا البحث اتبعت المنهج الاستقرائي التحليلي، حيث جمعت كل ما يتعلق بهذه الفئة من مصادر أهل السنة وآثار السلف المختلفة، وحللت تلك النصوص تحليلاً يكشف للقاريء صفات الخوارج الخُلُقية والخلْقية.

هذا ولم تعن دراسة – على حد اطلاعي – بموضوع هذا البحث، غير أن هناك بعض الدراسات والبحوث لامست مسائل جزئية، وقد اطلعت منها على الدراسات الآتية:

١ــ صفات الخوارج في السنة النبوية، للباحث/ سلمان محمد عبد الله المرزوقي، بحث منشور بمجلة الحديث، الكلية الجامعية الإسلامية العالمية بسلانجور، معهد دراسات الحديث النبوي"إنهاد"، العدد(١٥)، يونيو ٢٠١٨م، حيث حاول الباحث جمع الأحاديث الواردة في الخوارج، واستخلاص بعض صفاتهم منها، مع ذكر بعض الفوائد المتعلقة بهم.

٢ــ الخوارج في ضوء السنة النبوية، للباحث/ محمد عبد العزيز متولي، بحث منشور بالمجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق، جامعة الأزهر، العدد(٣٤)، الجزء الأول، ٢٠٢٢م، ركز الباحث على بيان انحراف وضلال الخوارج، وذكر أقوال العلماء وشروطهم في بيان فساد منهج الخوارج.

٣ــ الخوارج وصفاتهم، للدكتور/ محمد بن غيث، تناول في هذا الكتاب لمحة موجزة عن الخوارج وأبرز الصفات التي جاءت بها السنة النبوية للتنفير من هذه الفرقة، والكتاب من مطبوعات الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى ٢٠١٧م.

وهذه الدراسات والبحوث تحدثت عن الخوارج من زوايا مختلفة عن بحثي الذي جاء ليعالج صفات الخوارج الخلقية والخلقية في النصوص الشرعية وآثار السلف.

وقد وضعت لهذا البحث الخطة التالية:

خطة البحث:

المقدمة: فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياري البحث فيه.

تمهيد: وفيه نبذه موجزة في التعريف بالخوارج، ونشأتهم، وأحوالهم عبر التاريخ. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المقصود بمصطلح الخوارج.

المبحث الثاني: نشأتهم وأهم فترات ظهورهم وتمكنهم.

الفصل الأول: مرجع الحكم على الخوارج عند أهل الحق وفيه مبحثان:

الأول: ما المقصود بسرد صفاتهم كما وردت في النصوص.

الثاني: أثر صفاتهم ومواقفهم في التعامل معهم والحكم عليهم والقول الفصل في ذلك.

الفصل الثاني: في بيان جملة ما جاء في النصوص والآثار من صفات الخوارج الخلْقية والمقصود بها:

تمهيد: في المقصود بالصفات الخلقية.

بيان أهم هذه الصفات وهي:

١- الصفة الأولى: حدثاء الأسنان.
٢- الصفة الثانية: سفهاء الأحلام.
٣- الصفة الثالثة: سيماهم التحليق.
٤- الصفة الرابعة: غلظ الطباع وملامح الجفاء والبغضاء.
٥- الصفة الخامسة: كلما قُطع منهم قرْنٌ؛ برز آخر.
٦- الصفة السادسة: كلما ظهر منهم قرن قطع.
٧- الصفة السابعة: مظاهر الصالحين وقلوب المتجبرين.
٨- الصفة الثامنة: كلاب النار.
٩- الصفة التاسعة: أشداء أحداء (أحادية التفكير والتعصب للرأي وعدم التوسط).
١٠- الصفة العاشرة: ذليقة ألسنتهم بالقرآن.
١١- الصفة الحادية عشرة: قوة النفس والجرأة والجلد.
١٢- الصفة الثانية عشرة: مُسَهَّمَةٌ وُجُوهُهُمْ كَأَنَّ أَيْدِيَهُمْ وَرُكَبَهُمْ ثَفِنٌ عَلَيْهِمْ قُمُصٌ مُرَحَّضَةٌ.
١٣- الصفة الثالثة عشرة: شر الخلق والخليقة. شر قتلى تحت أديم السماء.
١٤- الصفة الرابعة عشرة: يعجبون الناس وتعجبهم أنفسهم. الغرور والإعجاب بالنفس.

الفصل الثالث: في بيان جملة ما جاء في النصوص والآثار من صفات الخوارج الخُلقية والسلوكية والمقصود بها.

تمهيد: في المقصود بالصفات الخلقية والسلوكية.

بيان أهم هذه الصفات وهي:

١- الصفة الأولى: القراءة والحفظ بلا فهم (يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم) (يحسبون أنه لهم وهو عليهم).
٢- الصفة الثانية: يقتلون أهل الإسلام ويَدَعُون أهل الأوثان.
٣- الصفة الثالثة: يحسنون القول ويسيئون العمل. (يقولون من خير قول البرية).
٤- الصفة الرابعة: العصبية القبلية وفتنة المال وحب الرئاسة.

٥- الصفة الخامسة: تجويزهم على النبي ﷺ ما لا يجوز في حقه (كالجور).
٦- الصفة السادسة: يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.
٧- الصفة السابعة: يخرجون على حين فرقة بين المسلمين.
٨- الصفة الثامنة: غلو وتبتل واجتهاد في ضلال.
٩- الصفة التاسعة: الانعزال والتكتم والسرية.
١٠-الصفة العاشرة: الغدر والظلم والتسرع في الأحكام والمواقف.
١١-الصفة الحادية عشرة: كثرة الجدال واللَّدد في الخصومة.
١٢-الصفة الثانية عشرة: الاعتداد بالرأي والتعالي والغرور والتمادي في الباطل.
١٣-الصفة الثالثة عشرة: تكفير المخالفين، واستحلال دمائهم، وأموالهم، وأعراضهم.
١٤-الصفة الرابعة عشرة: ركوبهم للفتن لأدنى سبب ومن غير تبصر في العواقب.
١٥-الصفة الخامسة عشرة: سهولة اختراقهم واستغلالهم من قبل أعداء الإسلام.
١٦-الصفة السادسة عشرة: لا يستقيم لهم دين ولا دنيا.
١٧-الصفة السابعة عشرة: إذا مرقوا من الإسلام لا يرجعون إليه.
١٨-الصفة الثامنة عشرة: التدين بالخروج على جماعة المسلمين وعدم السمع والطاعة لولاة الأمور (شعار لا حكم إلا لله).
١٩-الصفة التاسعة عشرة: الأجر العظيم لمن قتلهم أو قتلوه.
٢٠- الصفة العشرون: الطعن في العلماء وأهل الفضل والمكانة.
٢١-الصفة الحادية والعشرون: سرعة الفتنة فيهم وبهم.
٢٢-الصفة الثانية والعشرون: انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين.
٢٣-الصفة الثالثة والعشرون: يرون الحجةَ في القرآن دون السنة. (إن لَم توافق أهواءهم دفعوها إما بالرد أو بالتأويل).
٢٤- الصفة الرابعة والعشرون: ليس فيهم من الصحابة ولا الأئمة والعلماء وأهل الفقه في الدين أحد.
٢٥-الصفة الخامسة والعشرون: الغاية تبرر الوسيلة عندهم. (ترك الجمع والجماعة، حلق اللحى، لبس النساء والتنكر، التعاون مع الكفرة والظلمة والمبتدعة ضد أهل السنة، التجارة في الممنوعات والتعدي على النفوس والأموال المعصومة).

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

التمهيد: وفيه

نبذه موجزة في التعريف بالخوارج، ونشأتهم، وأحوالهم عبر التاريخ.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالخوارج.

المبحث الثاني: نشأتهم وأهم مراحلهم وأحوالهم عبر التاريخ.

المبحث الأول: التعريف بالخوارج.

الخوارج في اللغة[١]: جمع خارج، وخارجي، وهو اسم مشتق من الخروج الذي هو نقيض الدخول.

يقال: فلان خارج على الإمام الحق: أي لم يدخل في طاعته. ويقال فلان خارج عن الطريق: أي حائد عنه.

وقيل: الخوارج جمع خارجة مثل قواعد جمع قاعدة، وفواكه جمع فاكهة، فيأتي جمعها على "خوارج".

وقد اشتهر إطلاق هذا الاسم على الحرورية [٢]، ومن سلك مسلكهم لخروجهم عن الناس. [٣]

أما في الاصطلاح فقد اختلف العلماء في التعريف الاصطلاحي للخوارج:

فمنهم من خصهم بالطائفة الذين خرجوا على الإمام علي ﷺكأبي الحسن الأشعري في قوله:" والسبب الذي سُمّوا له خوارج؛ خروجهم على علي بن أبي طالب"[٤].

ومنهم من اعتبر الخروج على الإمام المتفق على إمامته الشرعية خروجاً في أي زمن كان.

كالشهرستاني في قوله:" كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كل زمان"[٥].

وقد بيَّن عدد من أهل العلم أنَّ من أهم السمات والأوصاف في إطلاق مصطلح الخوارج هي: خروجهم عن أحكام الدين التي جاءت بها النصوص الشرعية في التكفير واستحلال الدماء، ومفارقة جماعة المسلمين في المنهج والمعتقد.

---

(١) انظر: لسان العرب: (٢/٢٤٩)، تهذيب اللغة (٧/٢٦)، تاج العروس (٥/٥٠٨).

(٢) الحرورية: نسبة إلى حروراء بلدة على ميلين من الكوفة. ويقال لمن يعتقد مذهب الخوارج (حروري) لأن أول فرقة منهم خرجوا على علي رضي الله عنه بالبلدة المذكورة، فاشتهروا بالنسبة إليها. انظر: فتح الباري (١٢/٢٨٤).

(٣) انظر: لسان العرب. ابن منظور (٢/ ١١٢٦).

(٤) مقالات الإسلاميين (١/١١٢).

(٥) الملل والنحل (١/١١٤).

قال الإمام النووي رحمه الله:" الخوارج: صنف من المبتدعة يعتقدون أن من فعل كبيرة كفر، وخلد في النار، ويطعنون لذلك في الأئمة ولا يحضرون معهم الجمعات والجماعات"[١].

وقال ابن تيمية رحمه الله:" وهؤلاء الخوارج ليسوا ذلك المعسكر المخصوص المعروف في التاريخ، بل يخرجون إلى زمن الدجّال" [٢].

وقال أيضًا:".. وتخصيصه ﷺ للفئة التي خرجت في زمن علي بن أبي طالب رضي الله عنه إنما هو لمعان قامت بهم، وكل من وجدت فيه تلك المعاني ألحق بهم، لأن التخصيص بالذكر لم يكن لاختصاصهم بالحكم، بل لحاجة المخاطبين في زمنه ﷺ إلى تعيينهم " [٣].

وقال ابن حجر في فتح الباري:" سُموا بذلك لخروجهم عن الدين، وخروجهم على خيار المسلمين"[٤]، وقال النووي في شرح مسلم:"وسمّوا خوارجا؛ لخروجهم على الجماعة، وقيل: لخروجهم عن طريق الجماعة، وقيل: لقوله –ﷺ-: " يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا "، ومعنى يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ: يخرج من أصله " [٥].

أما من قال إن الخوارج هم من خرجوا على الحاكم الحق...فقط فهذا ليس بوصفٍ جامعٍ للخوارج ولم يرد في النصوص الشرعية ما يدل على تقييد لفظ الخروج به، بل كل من كان على معتقدهم ومنهجهم في التكفير واستحلال الدماء فهو من الخوارج سواء خرج على الإمام أم لم يخرج، وسواءً كان الحاكم مسلمًا أو غير مسلم، ما دام قد اجتمع في هذه الجماعة التكفير دون حق، والخروج عما أجمع عليه المسلمون في الاعتقاد والعمل.

وإنّما خص عدد من أهل العلم وصف الخوارج بمن خرج على الأئمة؛ لأنَّ هذا كان غالب أمرهم، فهم قد خرجوا أولاً في أواخر عهد الخلفاء الراشدين، ثم على الدولة الأموية، والعباسية ومن بعدها وما يزالون.

وهؤلاء الخوارج إن وجدوا الإمام المسلم خرجوا عليه واستباحوا الدماء والأموال، وإن لم يجدوا الإمام استباحوا دماء عامة المسلمين وخيارهم من المجاهدين والعلماء والدعاة.

ومما سبق يتّضح أنَّ الوصف الجامع للخوارج هو: الغلو في الدين وتكفير المسلمين بغير حق واستحلال دمائهم بذلك، والخروج عن جماعتهم. ولا يشترط له

---

(١) روضة الطالبين (١٠/٥١).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/٤٩٥-٤٩٦).
(٣) مجموع الفتاوى (٢٨/٤٧٦-٤٧٧).
(٤) فتح الباري (١٢/٢٨٣).
(٥) شرح مسلم للنووي (٧/١٦٤).

مجرد القول بتكفير مرتكب الكبيرة، أو وجود حاكم مسلم يخرجون عليه. وأنَّ الخوارج ليسوا على طريقة واحدةٍ في بقية المعتقدات؛ فمنهم محاربون يرون الخروج بالسلاح ومنهم طوائف قعدة لا يفعلونه لكنهم يبررونه ومنهم من أنكر السنة النبوية، ومنهم من وافق المعتزلة، ومنهم من وافق الرافضة، وغير ذلك؛ فبعضهم أشر من بعض، وأكثر انحرافًا عن الحق من البعض الآخر.

فاسم الخوارج كما أسلفنا يشير في معناه الأول إلى الفئة التي خرجت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺبعد حادثة التحكيم المشهورة عام (٣٧ ه)[١]، ثم أصبح هذا المسمى يطلق على من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه في بلاد المسلمين[٢]، وغلا في الدين وكفر المسلمين بمطلق الذنوب وقاتلهم وأحل دمائهم وأموالهم ومحارمهم وفارق جماعتهم.

أما أشهر الأسماء التي أطلقت عليهم غير اسم الخوارج فمنها: المحكمة، والحرورية، والمارقة، والشراة، والقعدة، والنواصب.

المبحث الثاني: نشأتهم وأهم مراحلهم وأحوالهم عبر التاريخ.

- اختلف المؤرخون وعلماء الفرق في تحديد بدء نشأتهم، فمن قائل: إنهم ظهروا في عهد النبي ﷺ، أو إنهم نشأوا في عهد عثمان رضي الله عنه، أو حين خرج المحكمة الأولى عن جيش أمير المؤمنين علي ﷺوانحازوا عن الجماعة، وسفكوا الدم الحرام واستحلوا محارم المسلمين، وهذا الرأي الأخير هو الذي عليه الكثرة الغالبة من العلماء إذ يعرفون الخوارج باعتبار نشأتهم وظهور أمرهم بأنهم هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي ﷺ بعد حادثة التحكيم، ويفرقون بين مجرد وجود نزعة الاعتراض من أعرابي جاهل ضال كما حدث مع الذي اعترض على قسمة النبي ﷺ للغنائم في غزوة حنين، أو تجمع لغوغاء مختلفي المقاصد والاتجاهات خروجًا عن طاعة الإمام كما في عهد عثمان رضي الله عنه، وبين بداية ظهور الخوارج كفرقة لها آراؤها الخاصة واعتقاداتها وانحيازها وتجمعها القوي وتأثيرها في مجريات الأحداث وهو ما حدثت بدايته بالفعل حين خرجوا على جيش أمير المؤمنين علي ﷺوانحازوا بجمعهم إلى (حروراء) [٣] وعينوا أميرا عليهم [٤].

---

(١) حادثة التحكيم: قصة تحكيم أبي موسى وعمرو بن العاص في الخلاف الذي كان بين علي ومعاوية – رضي الله عن الجميع – التي جرت سنة ٣٧هـ في أعقاب حرب صفين التي دارت بين جيش على ومعه أهل العراق وجيش معاوية ومعه أهل الشام، مشهورة ذائعة في كتب الإخباريين وأهل الأدب، انظر: تاريخ الطبري (٥/ ٥) أحداث ٣٧هـ ط. دار المعارف بمصر. ت. محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٢) انظر: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين. د. أحمد محمد جلي (٣٦) ط. مركز الملك فيصل.

(٣) انظر: ما ورد عنها عند التعريف بالحرورية في الهامش السابق.

(٤) هو شبث بن ربعي التميمي. ت (٧٠ هـ).

• لما فعل الخوارج فعلهم هذا حاول أمير المؤمنين علي ﷺثنيهم عنه وإقناعهم بالعودة إلى جماعة المسلمين وكلمهم بنفسه وأرسل إليهم ابن عباس لينظر فيما ينقمونه على أمير المؤمنين فرجع بعضهم إلى الحق وكابر البقية بالباطل وأصروا على بغيهم وعدوانهم، ولما لم تُجْد معهم كل محاولات الإصلاح والإقناع بل تمادوا في الغواية والبغي حتى سفكوا الدم الحرام[1]، وقطعوا الطريق وروعوا الآمنين عند ذلك قاتلهم أمير المؤمنين علي ﷺفي معركة النهروان عام (٣٨هـ)[2] واستأصل شأفتهم وكسر شوكتهم.[3]

• إذا كانت حادثة التحكيم هي في الظاهر السبب الأساس في خروج هؤلاء الخوارج وتمردهم على أمير المؤمنين فإن هناك أسبابًا جوهرية، ذكرها بعض الباحثين[4]، أسهمت في خروج هؤلاء البغاة وتماديهم في العدوان والبغي وهيأت لنشوء هذه الفرقة منها:

١ – النزعة المتشددة بلا فقه ولا رفق التي كانت تسود بعض هؤلاء الخوارج وخصوصًا القراء من مسلمة الأعراب والقبائل ومؤلفيها[5]، هذه النزعة فتحت الطريق لنمو نزعات متطرفة في صفوفهم، منها نزعة التمرد والبغي.

٢ – العصبية القبلية، والتناحر المتوارث بين القبائل العربية المختلفة، وقد كان جيش الإمام علي – ﷺ– يضم فئات مختلفة وأخلاطًا من القبائل، وكانت هذه الفئات يعز عليها أن تكون الصدارة لبعضها دون بعض، فكان لذلك أثره فيما وقع في صفين ثم في نشوء الخوارج.

٣ – أن زعماء الخوارج الأُوَل أو بعضًا منهم على الأقل كانوا يعارضون ولاية عثمان – ﷺ– واشتركوا في المسئولية عن مقتله، وكانوا وقت الفتنة يفاخرون بذلك، لذلك كانوا يتخوفون من انقطاع الحرب وعقد الصلح؛ مخافة أن يعاقبوا على اشتراكهم في مقتل عثمان. فكانوا سببًا في إذكاء الفتنة واستمرارها وتمددها.

• لم تضع معركة النهروان نهاية تامة للخوارج فقد بقيت فيمن بقي منهم روح التحدي والقتال والإصرار على البغي والعدوان ضد دولة الإسلام وولاة أمور المسلمين، بل حتى مع عوام المسلمين الذين لا يوافقونهم على باطلهم.

---

(١) قتلوا عبد الله بن خباب بن الأرت، والرسول الذي أرسله على رضي الله عنه إليهم وهو الحارث بن مرة العبدي. انظر: الكامل في التاريخ. ابن الأثير (٦٩٢/٢).

(٢) نسبة إلى النهروان وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي كان بها وقعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، مع الخوارج مشهورة. انظر: معجم البلدان. ياقوت الحموي. (٣٢٥/٥).

(٣) انظر: تاريخ الطبري (٨٣/٥). ومجموع الفتاوى. ابن تيمية (٥٠١/٤).

(٤) انظر: تاريخ الطبري (٥٧/٥). دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية (٦٨ ــ ٧١). دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (٥١ ــ٥٢).

(٥) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل. ابن حزم (١٥٦/٤).

- خططوا لاغتيال علي ومعاوية وعمرو بن العاص ﷺ ونفذوا ذلك بالفعل فقتل علي على يد الخارجي ابن ملجم(١)، ونجا معاوية وعمرو.
- استمر الخوارج بعد قيام الدولة الأموية في مناوئة الدولة وخاضوا ضدها كثيرًا من المعارك والمواجهات الطاحنة.
- ظهرت في زمان دولة بني أمية العديد من الفرق الخارجية منها: الأزارقة (٢)، النجدات(٣)، الصفرية (٤)، العجاردة(٥)، الإباضية(٦) وغيرهم.
- حاول الخليفة عمر بن عبد العزيز أن يردهم إلى الحق فلم يذعنوا وتعنتوا معه وطالبوه بالتبري من أهل بيته وسائر بني أمية وإعلان ذلك على الملأ فما كان منه إلا قتالهم.
- عملت الدولتان الأموية والعباسية كل ما في وسعهما لسحق طوائف الخوارج وجيشتا لذلك الجيوش وتطاولت الحروب معهم وكسرت شوكتهم في كثير من الوقائع.
- استمرت طوائف الخوارج في الظهور عبر حقب التاريخ وبقيت لهم بقايا ودول تمثلهم في بعض الأطراف، وإن كانت أقل غلوًا وتشددًا من الطوائف المتقدمة، بل بعضها ينكر الانتساب إلى مسمى الخوارج، وإن كانوا يوافقونهم في أساس مذهبهم كفرقة الإباضية في عمان وزنجبار وشمال إفريقيا.
- ظهرت في العصرين الحديث والمعاصر تيارات واتجاهات فكرية وجماعات تكفيرية مغالية تحمل أفكار الخوارج ومناهجهم وصفاتهم تنابذ المجتمعات والحكومات وتكفرها وتدعوا للخروج المسلح عن الجماعة ونزع يد الطاعة وتستهين بالدماء المعصومة وتتعدي على الحرمات المصونة من أمثال (جماعة التكفير والهجرة، والجماعة الإسلامية، والقاعدة، وداعش، والنصرة، وبوكو حرام، وجماعة (أبي سياف)، وغيرها من المسميات والتجمعات التي ظهرت في شرق آسيا وجنوب شرقها وفي شمال أفريقيا، وأروبا، وأمريكا.

---

(١) هو: عبد الرحمن بن ملجم المرادي المذحجي الخارجي، قاتل علي بن أبي طالب في ١٩ من شهر رمضان سنة ٤٠ هـ، ولد في أرض مراد الواقعة أسفل نجران، وهاجر إلى المدينة وقرأ على معاذ بن جبل، وشهد فتح مصر، واختط بها مع الأشراف، وكان ممن قرأ القرآن والفقه، وهو أحد بني تدول، وكان فارسهم بمصر. ثم كان ابن ملجم من شيعة علي بالكوفة وسار إليه إلى الكوفة، وشهد معه معركة صفين. انظر: سير أعلام النبلاء (٥٣٩/٢).

(٢) الأزارقة: فرقة من الخوارج، نُسبوا إلى نافع بن الأزرق الحنفيّ، كفّروا عليًّا وأصحابه والقاعدين عن القتال، وجوّزوا قتل المخالفين وسَبْيَ نسائهم. انظر: الملل والنحل (١١٨/١).

(٣) النجدات: أتباع نجدة بن عامر الحنفي، وقد كان نجدة مع نافع بن الأزرق يدا واحدة إلى أن نقم عليه أشياء، رأى نجدة أنها من البدع المضلة ففارق نافعًا واستقل عنه بمن تبعه من أصحابه.. انظر: الملل والنحل (١٢٢/١).

(٤) الصفرية: أتباع زياد بن الأصفر، وقولهم في الجملة كقول الأزارقة في أن أصحاب الذنوب مشركون، غير أن الصفرية لا يرون قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم، والأزارقة يرون ذلك.. انظر: الملل والنحل (١٣٧/١).

(٥) العجاردة: أتباع عبد الكريم بن عجرد، وكان عبد الكريم من أتباع عطية بن الأسود الحنفي. وكانت العجاردة مفترقة عشر فرق يجمعها القول بأن الطفل يُدعَى إذا بلغ، وتجب البراءة منه قبل ذلك حتى يُدعى إلى الإسلام أو يصفه هو. وفارقوا الأزارقة في شيء آخر، وهو أن الأزارقة استحلت أموال مخالفيهم بكل حال، والعجاردة لا يرون أموال مخالفيهم فيئًا إلا بعد قتل صاحبه. انظر: الملل والنحل (١٢٩/١).

(٦) الإباضية: الإباضية إحدى فرق الخوارج، وتنسب إلى مؤسسها عبد الله بن إباض التميمي، ويدعي أصحابها أنهم ليسوا من الخوارج، وينفون عن أنفسهم هذه النسبة، والحقيقة أنهم ليسوا من غلاة الخوارج كالأزارقة مثلاً، لكنهم يتفقون مع الخوارج في مسائل عديدة منها: تعطيل الصفات والقول بخلق القرآن وتجويز الخروج على أئمة الجور. انظر: موسوعة الأديان والمذاهب المعاصرة (٥٨/١).

الفصل الأول

صفات الخوارج وأثرها في الحكم عليهم عند أهل الحق

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أهمية جمع صفاتهم كما وردت في النصوص والآثار.

المبحث الثاني: أثر ما ثبت من صفاتهم في الحكم عليهم.

المبحث الأول: أهمية جمع صفاتهم كما وردت في النصوص والآثار.

سبق أن ذكرت في المقدمة أنه لم يرد في السنة النبوية من الأحاديث المحذرة والمبينة لفرقة من الفرق مثلما ورد في الخوارج، إذ تواترت الأحاديث الواردة فيهم مبينة صفاتهم ومحذرة من أفكارهم ومناهجهم، ذلك أن اتصاف هؤلاء الخوارج بصفات التعبد والتأله، من كثرة الصيام والصلاة وقراءة القرآن مع ما يظهرونه من صدق اللهجة والغيرة والحمية كما جاء في خبرهم في الحديث إنهم:".. يقولون من خير قول البرية"، ربما يغري بعض الناس فيحسنون الظن بهم إحساناً يدفعهم إلى اعتقاد صحة أفكارهم وأعمالهم، لذلك كان اهتمام النبي ﷺ ببيان شأنهم وكشف أحوالهم تنبيهًا لأمته على ضلالهم ورحمة بها لئلا تقع في سوء مآلهم، ومع البيان المستفيض منه ﷺ في شأنهم فإن الخوارج وغيرهم من أهل البدع قد يخفى أمرهم على كثير من الناس في بعض الأعصار أو الأمصار لاسيما في حال ضعفهم واختلاطهم بمخالفيهم واضطرارهم لمصانعتهم، أما إذا كانوا أهل منعة وشوكة، أو كانوا منعزلين عن المخالفين لهم فإنه يسهل تمييزهم لما يظهرونه ويجاهرون به من ضلالهم وبدعهم وأحكامهم على مخالفيهم، وفي هذا المعنى يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " وكذلك الخوارج لما كانوا أهل سيف وقتال ظهرت مخالفتهم للجماعة حين كانوا يقاتلون الناس وأما اليوم فلا يعرفهم أكثر الناس"[1].

وللخوارج صفات ومقالات وأسماء يُعرفون بها، لكن ينبغي أن يعلم أن بعض هذه الأسماء والصفات والأقوال عرفت عنهم بالتتبع والاستقراء وكلام العلماء، ولا يشترط في كل اسم أو صفة أو مقالة تذكر عنهم أن جميعهم يقول بها، قال شيخ الإسلام:"وأقوال الخوارج إنما عرفناها من نقل الناس عنهم لم نقف لهم على كتاب مصنف"[2]، بل إن الباحث يجد أن الخوارج الأولين المتفق على ضلالهم قد استشكل أمرهم بعض أهل عصرهم فكيف بمن يظهرون الانتساب إلى السنة في هذا العصر وهم خوارج شعروا أم

---

(١) كتاب النبوات (١٣٩/١).

(٢) مجموع الفتاوى (٤٩/١٣).

لم يشعروا، ومن هنا تأتي أهمية التنقيب عن صفاتهم وأحوالهم وأقوالهم وتاريخهم في الماضي والحاضر لتجلية أمرهم للناس كي لا ينخدعوا بظواهرهم المغشوشة وأقوالهم المسمومة فإنهم كما أخبر النبي ﷺ عنهم (شر الخلق والخليقة، يقولون من خير قول البرية ويمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)[١]، فمن لم يكن ذا بصيرة بحالهم ومقالهم فإنه قد يشتبه عليه أمرهم وينخدع بباطلهم، إن خطورة الخوارج تكمن في كونهم يخرجون في أوساط المسلمين ويلبسون لباس المتقين الورعين، ومن هنا تكون البلية بهم عظيمة والتخلص من شرهم وفضح أمرهم من المهام العسيرة ولأجل هذا المعنى ورد في الخبر:"أنه يخرج في عراضهم الدجال.."[٢]، أي أن فتنتهم تتطاول عبر الزمان "كلما برز لهم قرن قطع" حتى يكون آخرهم ممن يخرج فيهم ومعهم المسيح الدجال ـــ في آخر الزمان ـــ فيكونون من شيعته وأنصاره فهم يشاركون الدجال في الفتنة والتلبيس، والتدليس، وإغواء الناس، وتفريقهم.

المبحث الثاني: أثر ما ثبت من صفاتهم في الحكم عليهم.

الوصف الجامع للخوارج ــ كما أشرنا إليه في التعريف، بعد النظر فيما جاء فيهم من النصوص، وإعمال القواعد الشرعية وتنقيح مناطات تلك الأوصاف، هو أنهم"الغلاة في الدين المكفّرين للمسلمين بما ليس بمكفر عند أهل الحق الذين يخرجون على جماعة المسلمين وإمامهم يقاتلونهم ويستحلون دماءهم وأموالهم بناءً على ذلك التكفير ويوالون في ذلك ويعادون"، وهذا لعله الحدّ الأدنى الذي اشتركت فيه فرق الخوارج إلا من أدخل فيها بخطأ، وهو الحد والوصف المؤثر الذي بنيت عليه أصل الفرقة الأولى الخارجة على عليّ رضى الله عنه، وليس مجرد حلق رؤوسهم ولا كثرة تعبدهم هو الوصف المؤثر في الحكم عليهم، وإنما هذه صفات ظهرت عليهم وتميزوا بها بالتبع لبدعتهم الأصلية في التكفير واستحلال الدماء المعصومة بل ولا مجرد خروجهم على عليّ سموا خوارج، فإن الخروج على الحاكم ليس "خروجا" بدعياً بإطلاق فقد يكون خروجه لطلب حق يراه أو تغيير منكر يرى وجوب تغييره وتعينه عليه كما حصل من خروج بعض الصحابة والتابعين على بعض أمراء الجور في عهدهم أو لمقصد دنيوي من مال أو رئاسة أو عداوة شخصية، ومثل هذه الصفات وغيرها يشترك الخوارج فيها مع غيرهم من الفرق البدعية والبغاة والمتنافسين في الحكم والرئاسة. وهم سمّوا خوارج

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر كتاب الزكاة، باب الخوارج شر الخلق والخليقة (٧٥٠/٢).

(٢) أخرجه ابن ماجة في المقدمة لسننه باب ذكر الخوارج (٦١/١) رقم: (١٧٤)، إسناده حسن قال البوصيري في الزوائد (٢٦/١) هذا إسناد صحيح احتج البخاري بجميع رواته. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٨١٧٢)، وصححه الأرناؤوط على المسند (٣٩٨/٩).

لخروجهم على عليّ، لكن ليس هذا الفعل هو أصل الفرقة فإن علي ﷺفارقه بعض الصحابة ولم يبايعوه، بل وقاتلوه ولم يسميهم السلف خوارج، وتسمية الخوارج بهذا الاسم تسمية بنتيجة أصلها وهو تكفيرهم علي ومن معه من المسلمين بما زعموا أنه عمل من أعمال الكفر المخرجة من الملة وهو قصة التحكيم المشهورة التي أشرنا لها من قبل ثم مقاتلتهم له واستحلال دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم.

أما بقية الأوصاف فكلها قرائن وعلامات إضافية يتحقق بمجموعها الحكم عليهم وتبين أمرهم وقد تتحقق في بعض الأزمنة والأمكنة، أو تتخلف تبعًا للظروف واختلاف الأحوال مثل حلق شعر الرأس أو توفيره وإطلاق اللحى، كذلك ثبوت أوصاف في الخوارج يشتركون فيها مع بعض الفرق المبتدعة، كالكذب والتقية، فهذا لا يعني أنهم رافضة، كما لا يعني عدم حلق رؤوسهم أنهم ليسوا خوارج. فهذه الأوصاف لا يمكن الاعتماد عليها مجردةً لتحديد فرقة من الفرق، فقد يتحقق بعضها أو يتخلف في أشخاص أو جماعات ولا ينطبق عليها الحكم لغياب الوصف الجامع المؤثر لكن إذا اجتمعت كل هذه الأوصاف والعلامات أو أغلبها في شخص أو فرقة فلا يكاد يتخلف عنها حكمها.

يقول الإمام الشاطبي رحمه الله في هذا المعنى في الاعتصام:".. الفرق إنما تصير فرقًا بخلافها للفرقة الناجية في معنى كُلِّي في الدين، وقاعدة من قواعد الشريعة، لا في جزئي من الجزئيات، وإنما ينشأ التفرّق عند وقوع المخالفة في الأمور الكلية..."[1]، وقال ابن تيمية ــ رحمه الله ــ في هذا المعنى: "..ومما ينبغي أيضًا أن يعرف أن الطوائف المنتسبة إلى متبوعين في أصول الدين والكلام: على درجات منهم من يكون قد خالف السنة في أصول عظيمة، ومنهم من يكون إنما خالف السنة في أمور دقيقة، ومثل هؤلاء إذا لم يجعلوا ما ابتدعوه قولاً يفارقون به جماعة المسلمين؛ يوالون عليه ويعادون؛ كان من نوع الخطأ. والله ﷻ يغفر للمؤمنين خطأهم في مثل ذلك، ولهذا وقع في مثل هذا كثير من سلف الأمة وأئمتها: لهم مقالات قالوها باجتهاد وهي تخالف ما ثبت في الكتاب والسنة؛ بخلاف من والى موافقه وعادى مخالفه وفرق بين جماعة المسلمين وكفّر وفسق مخالفه دون موافقه في مسائل الآراء والاجتهادات؛ واستحلّ قتال مخالفه دون موافقه فهؤلاء من أهل التفرّق والاختلافات. ولهذا كان أول من فارق جماعة المسلمين من أهل البدع الخوارج المارقون"[2]، فالمخالفة في قاعدة كلية أو أصل من أصول الإسلام، هي

(١) الاعتصام (٢/١٣٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/٣٤٨).

خروج عن جماعة المسلمين، وبدعة الخوارج هي من المخالفات في أصل من أصول الدين، وقاعدة من قواعده العظام.

بل إنَّ الافتراق في الدين يكون في الجزئيات إذا كثرت، وأصبحت منهجًا وسمتًا عامًا للفرد أو الجماعة، يجتمعون عليه، ويوالون عليه ويعادون، فيخرج صاحبها عن منهج أهل السنة والجماعة، ويدخله في فرق البدعة والضلالة.

قال الشاطبي في تكملة كلامه السابق:"ويجري مجرى القاعدة الكلية كثرة الجزئيات، فإن المبتدع إذا أكثر من إنشاء الفروع المخترعة عاد ذلك على كثير من الشريعة بالمعارضة، كما تصير القاعدة الكلية معارضة أيضًا، وأما الجزئي فبخلاف ذلك، بل يعد وقوع ذلك من المبتدع له كالزلة والفلتة "(١).

وقال ابن تيمية في هذا السياق: " من خالف الكتاب المستبين والسنّة المستفيضة أو ما أجمع عليه سلف الأمة خلافاً لا يعذر فيه فهذا يعامل بما يعامل به أهل البدع"(٢).

والناظر لحال معظم الفرق التي وقعت في الخروج عن المنهج القويم يرى أنها وقعت في جزئيات صارت علمًا على الخروج عن الجماعة ومفارقتها، مما يجعلها في حكم البدعة والخروج عن منهج أهل السنة، وقد جاءت الأحاديث المروية عن النبي ﷺ في بيان حال الخوارج وصفاتهم متنوعة في صيغها وألفاظها، وقد تضمنت بعض تلك الصيغ أحكامًا عامة على الخوارج بالمروق من الدين، وأنهم لا يعودون إليه، وأنهم شر الخلق والخليقة، والأجر العظيم لمن قتلهم أو قتلوه والتحذير من الاغترار بظواهرهم الخادعة، وكل ذلك بناء على ما ذكر من صفاتهم وتصرفاتهم ومواقفهم المشينة ومقولاتهم وآراءهم الشنيعة في حق سلف الأمة الصالحين من الصحابة والتابعين والأئمة المهديين وهنا يرد التساؤل. هل الحكم عليهم راجع إلى مجرد الصفات الظاهرة والأقوال والأفكار؟ أم السلوك والأفعال والمواقف؟ أم إلى مجموع الأمرين؟

والصحيح من الأقوال في هذه المسألة أن فيها تفصيل كما هو ثابت من أقوال السلف وأحوالهم في تعاملهم مع الخوارج.

فالحال الأولى: أن يكون خروج الخوارج مقتصر على مجرد الآراء والأقوال ولم ينزعوا يداً من طاعة ولم يفارقوا الجماعة فهؤلاء يبقى لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين وإن أظهروا شيئًا من أقوال الخوارج وصفاتهم ويدل لهذا أن ذا الخويصرة التميمي لما قال للنبي ﷺ ـــ حينما كان يقسم الغنائم ـــ اعدل يا محمد إن هذه القسمة

(١) الاعتصام (١٤٠/٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٩٦/٢٤).

ما أريد بها وجه الله. لم يأذن النبي ﷺ في قتله لما استأذنه أحد الصحابة في قتله بعد مقولته الشنيعة هذه في حق رسول الله ﷺ، ويدل له أيضًا موقف علي ﷺمن الخوارج في بداية أمرهم لما شغبوا عليه وجعلوا يحرضون الناس للإنكار عليه في بعض المواقف قبل أن يخرجوا عليه وينحازوا عنه قال لهم:(لكم عندي ثلاثًا ما صحبتمونا، لا نمنعكم مساجد الله، ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم في أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تبدؤونا) فعلى الإمام في مثل هذه الحالات الفردية أو الجماعية أن يسعى لاستصلاح أصحابها وإزالة ما قد يكون عرض لهم من شبهات أو وقع عليهم من حرمان أو مظالم.

ومع هذا فإن للإمام في بعض الحالات التي تصر على الباطل والضلال إلى الحد الذي قد تمثل بمقولاتها وآراءها خطرًا على المجتمع ووحدته وعقيدته وأمنه الفكري أن يوقع عليها بعض العقوبات والتعزيرات الرادعة التي من شأنها علاج مثل هذه الظواهر الشاذة والقضاء عليها في مهدها. ومن ذلك ما فعله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ــ ﷺ ــ مع "صبيغ بن عسل" الذي بلغه عنه أنه يتكلم في متشابه القرآن ويسعى بالفتنة بين الناس والتلبيس عليهم في دينهم، فأدبه ونفاه وعامله بما قطع شره وعالج سقمه[(١)]، وهكذا فعل كثير من خلفاء وأمراء بني أمية وبني العباس مع بعض الخارجين عن الطاعة أو المفارقين للجماعة من أهل البدع والضلال فقد دعوهم إلى الحق والعودة عن الباطل وناظروهم ودعوا العلماء لمناظرتهم، فمن آب إلى الحق قبل منه ومن أصر على الإثم والعدوان عوقب بما يستحقه، ومن ذلك أن عمر بن عبد العزيز ــ رحمه الله ــ طلب رؤوس الخوارج في زمانه فلما حضروا عنده وعظهم وحثهم على الرجوع إلى الجادة وترك الشذوذ ومفارقة الجماعة لكنهم تعنتوا معه وأصروا على ما هم عليه من الباطل حتى أنهم طلبوه أن يعلن على الملأ تبرؤه من آبائه ومن سلف من خلفاء بني أمية بزعم أنهم كفار مارقون فما كان منه ــ لما رأى تعنتهم وإصرارهم على ضلالهم ــ إلا أن أمر بقتالهم واستئصالهم[(٢)]، ومن ذلك أن غيلان الدمشقي عاد إلى ما كان عليه من الكلام الباطل في القدر والسعي بالفتنة بين الناس في ذلك زمن الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، وكان قبل قد أظهر التوبة والرجوع إلى الحق زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز فما كان من هشام بن عبد الملك إلا أن سجنه وأمر الإمام الأوزاعي بمناظرته واستتابته

---

(١) انظر: سنن الدارمي (١/٢٥٢)، والآجري في الشريعة (١/٤٨٣)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/٧٠٢).

(٢) انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير (٤/١٥٤).

فلما لم يعد عن غيه ولم يرعوي عن ضلاله أفتى ــ رحمه الله ــ بوجوب قتله قطعًا لفتنته وإراحة للمسلمين من شره [1].

الحال الثانية: أن ينزعوا يد الطاعة ويفارقوا الجماعة، وفي هذه الحالة فإن على الإمام قبل أن يقاتلهم أن يجتهد في ردهم إلى الحق بكل سبيل مشروع وإقامة الحجة عليهم وإزالة شبهاتهم فإن أبوا إلا المقام على ما هم فيه من شذوذ ومفارقة استعان بالله على قتالهم حتى يقضي الله بينه وبينهم، ويدل لهذا الاتجاه ما فعله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ــ ﷺ ــ مع الخوارج حينما خرجوا من معسكره وانحازوا إلى حروراء فإنه دعاهم إلى الرجوع إلى الحق وناظرهم وأذن لابن عباس للذهاب إليهم لمناقشتهم فيما ينقمونه على أمير المؤمنين وحينما أجابهم عما استشكلوه وخصمهم فيما عارضوه عاد منهم للحق عدد كثير وأصر بقيتهم على الباطل، ومع ذلك لم يعجل أمير المؤمنين في قتالهم وقال لا نقاتلهم حتى يبدؤونا فلما استحلوا الدم الحرام بقتلهم عبد الله بن خباب وجاريته وقتلوا رسول أمير المؤمنين إليهم الذي أرسله ليسلموا إليه قتلة عبد الله بن خباب وامتنعوا من إجابته لما دعاهم له عند ذلك علم أنهم أهل بغي وضلال لا يصلحهم إلا السيف والقوة وأنهم هم الذين عناهم رسول الله في الحديث الذي سمعه علي ﷺبنفسه من رسول الله وفيه أن هذه المارقة تخرج على حين فرقة بين المسلمين تقتلها أولى الطائفتين بالحق.

هذا فيما يتعلق بالتعامل معهم، أما يتعلق بالحكم عليهم فإنه يكون بمجموع ما يصدر عنهم من أقوال وأفعال وفق الضوابط المعلومة في مذهب أهل الحق في هذا الباب التي تقوم على أساس التفريق في الحكم بين الحكم على الفعل المجرد والحكم على الفعل المنسوب لشخص معين ففي الثاني لابد قبل الحكم عليه من توفر الشروط الموجبة للحكم عليه وانتفاء الموانع التي قد تمنع شموله بالحكم لوجودها.

والمقصود بالحكم عليهم هنا هو فيما يتعلق بتكفيرهم من عدمه وهل هم من طوائف أهل الإسلام أم هم مرتدون مارقون يقاتلون قتال الكفار ويعاملون معاملتهم فالذي يذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الباب[2]: أَنَّ الْأُمَّةَ مُتَّفِقُونَ عَلَى ذَمِّ الْخَوَارِجِ وَتَضْلِيلِهِمْ وَإِنَّمَا تَنَازَعُوا فِي تَكْفِيرِهِمْ عَلَى قَوْلَيْنِ مَشْهُورَيْنِ فِي مَذْهَبِ مَالِكٍ وَأَحْمَد وَفِي مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ أَيْضًا نِزَاعٌ فِي كُفْرِهِمْ، وَلِهَذَا كَانَ فِيهِمْ وَجْهَانِ فِي مَذْهَبِ أَحْمَد وَغَيْرِهِ:

---

(١) انظر: عيون الأخبار، ابن قتيبة (٣٤٥/٢)، لسان الميزان (٤٢٤/٤).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٥٠٠/٢٨، ٥١٨).

فالقول الأول: أَنَّهُمْ كُفَّارٌ كَالْمُرْتَدِّينَ، يَجُوزُ قَتْلُهُمْ ابْتِدَاءً، وَقَتْلُ أَسِيرِهِمْ، وَاتِّبَاعُ مُدْبِرِهِمْ، وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ اُسْتُتِيبَ كَالْمُرْتَدِّ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح[١]جملة من العلماء الذين قالوا بتكفير الخوارج كالبخاري، والحافظ أبوبكر بن العربي، والسبكي، والْقُرْطُبِيّ.

وممن ذهب إلى تكفيرهم أيضًا الحسن بن محمد بن علي ورواية عن الإمام الشافعي ورواية عن الإمام مالك وطائفة من أهل الحديث. [٢]

وممن ذهب إلى تكفيرهم من العلماء المتأخرين سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله –. [٣]

واحتج من ذهب هذا المذهب بقَوْله ﷺ: "يَمْرُقُونَ مِنْ الْإِسْلَام " وبقَوْلِهِ: " لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْل عَاد"، وَفِي لَفْظ " ثَمُود"، وَكُلّ مِنْهُمَا إِنَّمَا هَلَكَ بِالْكُفْرِ.

وَبِقَوْله ﷺ:"هُمْ شَرُّ الْخَلْق" وَلَا يُوصَف بِذَلِكَ إِلَّا الْكُفَّار، وَبقَوْلِهِ:"إِنَّهُمْ أَبْغَضُ الْخَلْق إِلَى اللَّه تَعَالَى".

وَلِحُكْمِهِمْ عَلَى كُلّ مَنْ خَالَفَ مُعْتَقَدهمْ بِالْكُفْرِ وَالتَّخْلِيد فِي النَّار فَكَانُوا هُمْ أَحَقَّ بِالِاسْمِ مِنْهُمْ، وبِتَكْفِيرِهِمْ أَعْلَام الصَّحَابَة لِتَضَمُّنِهِ تَكْذِيب النَّبِيّ ﷺ فِي شَهَادَته لَهُمْ بِالْجَنَّةِ.[٤]

والقول الثاني: أَنَّهُمْ بُغَاةٌ وليسوا بكفار.

وهذا القول هو الذي عليه أكثر أهل الأصول من أهل السنة والجماعة.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح[٥]:" وَذَهَبَ أَكْثَرُ أَهْل الْأُصُول مِنْ أَهْل السُّنَّة إِلَى أَنَّ الْخَوَارِج فُسَّاق وَأَنَّ حُكْم الْإِسْلَام يَجْرِي عَلَيْهِمْ لِتَلَفُّظِهِمْ بِالشَّهَادَتَيْنِ وَمُوَاظَبَتهمْ عَلَى أَرْكَان الْإِسْلَام، وَإِنَّمَا فُسِّقُوا بِتَكْفِيرِهِمْ الْمُسْلِمِينَ مُسْتَنِدِينَ إِلَى تَأْوِيل فَاسِد وَجَرَّهُمْ ذَلِكَ إِلَى اسْتِبَاحَة دِمَاء مُخَالِفِيهِمْ وَأَمْوَالهمْ وَالشَّهَادَة عَلَيْهِمْ بِالْكُفْرِ وَالشِّرْك ". ا. هـــ.

وقد نقل الإمام الخطابي إِجْمَاعَ عُلَمَاء الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ الْخَوَارِج مَعَ ضَلَالَتهمْ فِرْقَة مِنْ فِرَق الْمُسْلِمِينَ، وَأَجَازُوا مُنَاكَحَتهمْ وَأَكْل ذَبَائِحهمْ، وَأَنَّهُمْ لَا يُكَفَّرُونَ مَا دَامُوا مُتَمَسِّكِينَ بِأَصْلِ الْإِسْلَام. [٦]

وَقَالَ ابْن بَطَّال:"ذَهَبَ جُمْهُور الْعُلَمَاء إِلَى أَنَّ الْخَوَارِج غَيْر خَارِجِينَ عَنْ جُمْلَة الْمُسْلِمِينَ لِقَوْلِهِ: " يَتَمَارَى فِي الْفُوق " لِأَنَّ التَّمَارِي مِنْ الشَّكّ، وَإِذْ وَقَعَ الشَّكّ فِي ذَلِكَ لَمْ

---

(١) انظر: فتح الباري (٢٩٩/١٢).
(٢) انظر: الإبانة الصغرى (١٥٢)، الشفا (١٠٥٧/٢)، المغني (٢٣٩/١٢).
(٣) انظر: مجموع فتاوى ومقالات" الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز ــ رحمه الله ــ (١٦١/١٣).
(٤) انظر: فتح الباري (٣٠٠/١٢)
(٥) انظر: فتح الباري (٣٠٠/١٢).
(٦) انظر: فتح الباري (٣٠٠/١٢).

يُقْطَع عَلَيْهِمْ بِالْخُرُوجِ مِنْ الْإِسْلَام، لِأَنَّ مَنْ ثَبَتَ لَهُ عَقْد الْإِسْلَام بِيَقِينٍ لَمْ يَخْرُج مِنْهُ إِلَّا بِيَقِينٍ " (١).

وقال الإمام النووي رحمه الله:"الْمَذْهَب الصَّحِيحَ الْمُخْتَارَ الَّذِي قَالَهُ الْأَكْثَرُونَ وَالْمُحَقِّقُونَ: أَنَّ الْخَوَارِجَ لَا يُكَفَّرُونَ كَسَائِرِ أَهْلِ الْبِدَعِ " (٢).

وقال الإمام الشاطبي رحمه الله:"وقد اختلفت الأمة في تكفير هؤلاء أصحاب البدع العظمى، ولكن الذي يقوى في النظر وبحسب الأثر عدم القطع بتكفيرهم والدليل عليه عمل السلف الصالح فيهم"(٣).

وقال ابن قدامة رحمه الله:"الْخَوَارِجُ الَّذِينَ يُكَفِّرُونَ بِالذَّنْبِ، وَيُكَفِّرُونَ عُثْمَانَ وَعَلِيًّا وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ، وَكَثِيرًا مِنْ الصَّحَابَةِ، وَيَسْتَحِلُّونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمْوَالَهُمْ، إلَّا مَنْ خَرَجَ مَعَهُمْ، فَظَاهِرُ قَوْلِ الْفُقَهَاءِ مِنْ أَصْحَابِنَا الْمُتَأَخِّرِينَ أَنَّهُمْ بُغَاةٌ، حُكْمُهُمْ حُكْمُهُمْ.

وَهَذَا قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ، وَالشَّافِعِيِّ، وَجُمْهُورِ الْفُقَهَاءِ، وَكَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ "(٤).

والقول بعدم تكفيرهم هو رأي شيخ الإسلام ابن تيمية.

قال رحمه الله:"وأصحاب الرسول ﷺ، على بن أبي طالب وغيره: لم يكفروا الخوارج الذين قاتلوهم، بل أول ما خرجوا عليه، وتحيزوا بحروراء، وخرجوا عن الطاعة والجماعة: قال لهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (إن لكم علينا أن لا نمنعكم مساجدنا، ولا حقكم من الفيء)، ثم أرسل إليهم ابن عباس فناظرهم، فرجع نحو نصفهم، ثم قاتل الباقي وغلبهم، ومع هذا لم يسب لهم ذرية، ولا غنم لهم مالًا، ولا سار فيهم سيرة الصحابة في المرتدين كمسيلمة الكذاب وأمثاله، بل كانت سيرة علي والصحابة في الخوارج مخالفة لسيرة الصحابة في أهل الردة، ولم ينكر أحد على علي ذلك، فعلم اتفاق الصحابة على أنهم لم يكونوا مرتدين عن دين الإسلام" (٥).

وقال أيضًا:"ومما يدل على أن الصحابة لم يكفروا الخوارج أنهم كانوا يصلون خلفهم، وكان عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - وغيره من الصحابة يصلون خلف نجدة الحروري وكانوا أيضًا يحدثونهم ويخاطبونهم كما يخاطب المسلم، كما كان عبد الله بن عباس يجيب نجدة الحروري لما أرسل إليه يسأله عن مسائل وحديثه في البخاري، وكما أجاب

---

(١) انظر: فتح الباري (١٢/٣٠٠).
(٢) شرح مسلم للنووي (٢/٥٠).
(٣) الاعتصام (٣/١١٥).
(٤) المغني (٨/٥٢٤).
(٥) منهاج السنة النبوية (٥/٢٤١).

نافع بن الأزرق عن مسائل مشهورة وكان نافع يناظره في أشياء بالقرآن كما يتناظر المسلمان وما زالت سيرة المسلمين على هذا ما جعلوهم مرتدين كالذين قاتلهم الصديق.

هذا مع أمر الرسول ﷺ بقتالهم في الأحاديث الصحيحة وما روي من أنهم شر قتلى تحت أديم السماء، خير قتيل من قتلوه، أي أنهم أشر على المسلمين من غيرهم فإنهم لم يكن أحد أشر على المسلمين منهم لا اليهود ولا النصارىن فإنهم كانوا مجتهدين في قتل كل مسلم لم يوافقهم مستحلين لدماء المسلمين وأموالهم وقتل أولادهم مكفرين لهم وكانوا متدينين بذلك لعظم جهلهم وبدعتهم المضلة، ومع هذا فالصحابة – رضي الله عنهم – والتابعون لهم بإحسان لم يكفروهم ولا جعلوهم مرتدين ولا اعتدوا عليهم بقول ولا فعل بل اتقوا الله فيهم وساروا فيهم السيرة العادلة"[1].

والذي نختم به هذا المبحث هو أن القول بعدم تكفير الخوارج في العموم هو المذهب الذي عليه أكثر أهل السنة والجماعة، لكن يبقى أن الخوارج على امتداد تاريخهم الى اليوم ليسوا على درجة واحدة في الضلال ومجافاة الحق فهم كغيرهم من المذاهب فرق شتى فيهم الغالي وفيهم الجافي وفيهم بين ذلك، وعليه فإن الأوفق والأعدل في شأنهم وشأن من شابههم أن يقال في حق كل فرقة أو اتجاه منهم بما يناسبها من الحكم بحسب ما ظهر من أقوالها وأفعالها واعتقاداتها وقربها أو بعدها عن الحق أما الحكم عليهم جميعًا بحكم واحد مدحًا أو ذمًا فإنه يكون ــ في الغالب ــ حكمًا غير دقيق.

وهاهنا مسألة تنبني على القول في حكم الخوارج وهي مسألة قتال الخوارج وفيها:

أولًا: ما هو مذهب أهل الحق في مشروعية قتالهم؟

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في هذا الشأن: "وأهل السنة ولله الحمد متفقون على أنهم مبتدعة ضالون، وأنه يجب قتالهم بالنصوص الصحيحة، وأن أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه كان من أفضل أعماله قتاله الخوارج، وقد اتفقت الصحابة على قتالهم.... " [2].

وقد وردت نصوص نبوية عديدة، تحض على قتال الخوارج منها قوله ﷺ: " لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد"، وقوله: "قتالهم حق على كل مسلم"، ويبين عليه الصلاة والسلام أجر من يقاتلهم فيقول: " فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة ".

كما أن الرسول ﷺ أشار إلى أن علياً رضي الله عنه سيلي أمر قتالهم، يقول علي بن أبي طالب: إني دخلت على رسول الله ﷺ وعنده عائشة، فقال: كيف أنت وقوم كذا وكذا؟

(١) المرجع السابق (٥/٢٤٧).

(٢) منهاج السنة (٦/١١٦).

فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: ثم أشار بيده فقال: قوم يخرجون من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم... "[١].

ولما كانت النصوص صريحة بوجوب قتال الخوارج اتفقت كلمة الصحابة رضوان الله عليهم على قتالهم، وقاتلهم علي بن أبي طالب وجمع من الصحابة. وكان عبد الله بن عمر يرى أن قتال الحرورية حقٌ واجبٌ على المسلمين. لذلك أراد ﷺأن يقاتل نجدة الحروري حين أتى المدينة يغير على ذراريهم، فقيل له: إن الناس لا يبايعونك على هذا، فتركه. وقال رضي الله عنه: "ما آسى من الدنيا إلا على ثلاث: ظمأ الهواجر، ومكابدة الليل، وألا أكون قاتلت هذه الفئة الباغية التي حلت بنا"[٢].

ويقول معاوية بن قرة: "خرج محكم في زمان أصحاب رسول الله ﷺ فخرج عليه بالسيف رهط من أصحاب رسول الله منهم عائذ بن عمرو"[٣].

ويقول الأزرق بن قيس: "كنا بالأهواز نقاتل الخوارج وفينا أبو برزة الأسلمي رضي الله عنه"[٤].

وكذلك قاتلهم معاوية بن أبي سفيان والمغيرة بن شعبة. ولما عزم علي بن أبي طالب على قتال الخوارج وأراد السير إليهم بيّن للمسلمين مبررات قتالهم، وأعلمهم بحكم هذا القتال ووجوبه، وبشرهم بالأجر الجزيل لمن يقاتل الخوارج كما ورد عن رسول الله ﷺ فقال: " أيها الناس إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء. يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لو يعلم الجيش الذي يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم ﷺ لاتكلوا عن العمل. وآية ذلك أن فيهم رجلًا له عضد، وليس له ذراع على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض، فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم. والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس، فسيروا على اسم الله. [٥]

يقول زيد بن وهب الجهني: وكان في الجيش الذين كانوا مع علي ﷺ لقتال الخوارج: مررنا على قنطرة، فلما التقيا وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب

---

(١) مسند أحمد، (٤٧٠/٢)، رقم الحديث(١٣٧٨).

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد، طبعة دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م، (١٨٥/٤).

(٣) الطبقات الكبرى، (٣١/٧).

(٤) الجامع لعلوم الإمام أحمد، خالد الرباط وآخرون، دار الفلاح، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، (٥٨١/٤).

(٥) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: عمر محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، (١١٧٦/٣).

الراسبي، فقال لهم: ألقوا الرماح وسلوا سيوفكم من جفونها، فإني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء، فرجعوا فوحشوا برماحهم وسلوا السيوف، وشجرهم الناس برماحهم، قال: وقتل بعضهم على بعض وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان. فقال علي رضي الله عنه: التمسوا منهم المخُدّج، فالتمسوه فلم يجدوه. فقام علي ﷺبنفسه حتى أتى ناسًا قد قتل بعضهم على بعض، قال: أخروه، فوجدوه مما يلي الأرض. فكبر ثم قال: صدق الله وبلغ رسوله..." [١].

فالصحابة ﷺ بينوا للناس مبررات قتالهم للخوارج، وشجعوهم على ذلك، وبينوا الأجر العظيم في قتالهم. بل إن عبد الله بن الزبير ﷺ كان يجزل العطايا من الأموال لمن يقاتلهم.

أما عن سنة الصحابة ﷺ في قتالهم الخوارج فتتضح من خلال ما فعله علي ﷺوالصحابة معه حينما قاتلوهم في النهروان، ويمكن تلخيص شيء منها في الآتي:

١- إن الخوارج لا يبدأون بقتال، ولا يعتدى عليهم بالقتل ما داموا فقط يرون رأي الخوارج، ولا يقاتلون حتى يقتلوا المسلمين أو يقطعوا السبيل حينها يجب على ولي الأمر ردعهم وقتالهم.

٢- يجب إقامة الحجة عليهم، وتقديم النصح لهم، ووعظهم قبل بدئهم بالقتال.

قال الطبري: "لا يجوز قتال الخوارج وقتلهم إلا بعد إقامة الحجة عليهم بدعائهم إلى الرجوع إلى الحق، والإعذار إليهم"[٢].

٣- إعطاء الأمان لمن يستسلم منهم ويرجع عن باطله وضلاله، ولم يتعرض لقتل المسلمين.

٤- لا يجهز على جريحهم، ولا يتبع مدبرهم – إلا إن كان فارًا يتقوى – ولا يسبى منهم سبي، إذ لم يعاملهم علي معاملة الكفار المرتدين، ولم يعاملهم معاملة أهل البغي كأهل الجمل وصفين، بل جعلهم قسمًا ثالثًا.

٥- لذلك أخذ ما كان في ساحة المعركة من سلاح وكراع وقسمه بين أصحابه، وهذا لم يفعله مع أهل الجمل. كما أنه لم يأخذ كل أموال الخوارج كالكفار المرتدين، بل أخذ ما كان في ساحة المعركة.

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، (١٧٢/٧).

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر، (٢٩٩/١٢).

٦- الاستمرار في قتال الخوارج ما قاتلوا وأفسدوا وخرجوا على المسلمين بالسيف، ولا يكف عنهم حتى يكفوا عن المسلمين، فعلي ﷺبعد النهروان خرج عليه جماعات من الخوارج فقاتلهم، وكذلك فعل معاوية رضي الله عنه.

٧- إن فرت جماعات من الخوارج لتتقوى وتخرج فإنهم يطاردون لتستأصل فلولهم، وتقهر قوتهم، وتكسر شوكتهم.

وهذه بعض القضايا التي ترد في ثنايا هذه المسألة ومنها:

١: ما حكم الواحد المقدور عليه إن كان على رأي الخوارج؟ هذا يختلف حكمه باختلاف حاله، ولولي الأمر أن يتعامل معه حسب خطره، وحسب مصلحة المسلمين، فله حبسه أو قتله، أو تخلية سبيله.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "فأما قتل الواحد المقدور عليه من الخوارج كالحرورية، والرافضة ونحوهم فهذا فيه قولان للفقهاء، هما روايتان عن الإمام أحمد، والصحيح أنه يجوز قتل الواحد منهم كالداعية إلى مذهبه ونحو ذلك ممن فيه فساد...فإذا لم يندفع فسادهم إلا بالقتل قتلوا، ولا يجب قتل كل واحد منهم إذا لم يظهر هذا القول، أو كان في قتله مفسدة راجحة"(١).

٢: ما الحكم إذا تاب الخارجي وأراد الرجوع إلى الحق، فما الحكم فيما سفك من دم أو سلب من مال؟

سئل الإمام أحمد بن حنبل عن ذلك فقال: "هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون، فرأوا أن يهدر كل دم أصيب على تأويل القرآن. قيل له: مثل الحرورية؟ قال: نعم، قال: فأما قاطع طريق فلا"(٢)، واستثنى من ذلك أن يوجد المال قائمًا بعينه فإنه يعاد إلى أصحابه.

ثالثًا: هل يقاتلون ابتداء بمجرد إظهارهم لآرائهم، أم لابد من شروعهم في قتال المسلمين وإمامهم؟ (٣)

وهذه المسألة فيها خلاف بين علماء السلف فذهب جماعة من العلماء منهم مالك وأحمد إلى مشروعية قتل الداعية إلى البدعة المغلظة؛ لأن فعله شبيه بالخروج من الدين ووسيلة إلى ذلك. فمتى ما أظهر بدعته ودعى الناس إليها وحملهم عليها قتل وإن استخفى ببدعته ولم يدع الناس إليها كان حكمه حكم المنافقين المستخفين في عهد رسول الله ﷺ لا يتعرض لهم بقتل ولا قتال. فقد سئل الإمام أحمد عن الجهمي قال: "أرى قتل

---

(١) مجموع الفتاوى (٤٩٩/٢٨ـ ٥٠٠).

(٢) كتاب السنة، للخلال (١٥٢/١).

(٣) انظر: الفقه على المذاهب الأربعة، للجزيري (٣٦٧/٥ - ٣٧٠).

الدعاة منهم"[١]. وهذا من باب التعزير وهو راجع إلى نظر الإمام في تحقيق المصلحة ويختلف بحسب قوة أهل الحق وضعفهم وما يترتب على ذلك.

وقد أمر النبي ﷺ بقتال الخوارج بقوله: "لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود"[٢] وقوله: "أينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة"[٣]. وقوله: " طوبى لمن قتلهم ثم قتلوه"[٤]، واتفق الصحابة على قتالهم واختلف الفقهاء في حكم من أظهر مذهب الخوارج ولم يخلع طاعة الإمام أو يسفك دمًا حرامًا. على ثلاثة أقوال[٥]:

١. ذهب مالك إلى ابتداء قتالهم مطلقًا لفسادهم في الأرض وعملًا بظاهر النصوص. فقال يستتابون فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم.
٢. وذهب أحمد إلى التفصيل فقال إن دعوا إلى بدعتهم قوتلوا، وإن لم يدعوا إليها لم يقاتلوا.قال:"الحرورية إذا دعوا إلى ما هم عليه إلى دينهم فقاتلهم وإلا فلا يقاتلون"[٦] .
٣. وذهب الشافعي وأبو حنيفة إلى عدم قتالهم بمجرد دعوتهم وإنما يقاتلون إذا بدأوا القتال وسفكوا الدماء. واستدلوا بأن الخليفة علي رضي الله عنه لم يقاتلهم حتى سفكوا الدماء ولم يتعرض لهم قبل ذلك. ووافقه عمر بن عبد العزيز.

والذي يظهر أن الإمام الشرعي ــ كما أسلفنا ــ له قتال الخوارج عند ظهور أمرهم وانتشار دعوتهم ولو لم يخرجوا عليه ويسفكوا الدماء لعموم الأمر بقتالهم دون تقييده بحصول القتال منهم، ودرء للفتنة عن المسلمين، واستئصالًا لشوكتهم قبل تمكنهم فإنهم لو تركوا ولم يتعرض لهم لاستفحل أمرهم وقويت شوكتهم وعظم فسادهم وشق على أهل السنة القضاء عليهم والتاريخ يشهد بهذا..وللإمام ترك قتالهم حتى يسفكوا الدماء، ينظر الأصلح في ذلك ويراعي الأحوال كأن يخشى مفسدة أعظم أو يكون غير متهيئ لقتالهم كما ترك النبي ﷺ قتل ذي الخويصرة تأليفًا للناس في الإسلام وخشية تنفيرهم عنه، كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر لما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق فقال رسول الله: " معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي"[٧].

---

(١) انظر: الجامع لعلوم الإمام أحمد، (٨٢/٤).
(٢) البخاري، (١٦٣/٥)، رقم الحديث(٤٣٥١).
(٣) البخاري: المناقب (٣٦١١) ، ومسلم: الزكاة (١٠٦٦) ، والنسائي: تحريم الدم (٤١٠٢) ، وأبو داود: السنة (٤٧٦٧) ، وأحمد (١٣١/١، ١٦٠/١).
(٤) مسند أحمد، (١٥٦/٣٢)، رقم الحديث(١٩٤١٤).
(٥) انظر: الفقه على المذاهب الأربعة، للجزيري (٣٦٧/٥ – ٣٧٠).
(٦) المبدع في شرح المقنع، إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (ت ٨٨٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م، (٤٧٧/٧)، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان بن أحمد المَرْداوي (ت ٨٨٥ هـ)، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي – د عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة – جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م، (٩٩/٢٧).
(٧) أخرجه مسلم برقم (١٠٦٣) كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٧٤٠/٢).

الفصل الثاني

بيان جملة ما جاء في النصوص والآثار من صفات الخوارج الخلْقية والمقصود بها:

وفيه تمهيد في المقصود بالصفات الخلقية، وأهم هذه الصفات على النحو التالي:

١. الصفة الأولى: حدثاء الأسنان.
٢. الصفة الثانية: سفهاء الأحلام.
٣. الصفة الثالثة: سيماهم التحليق.
٤. الصفة الرابعة: غلظ الطباع وملامح الجفاء والبغضاء.
٥. الصفة الخامسة: كلما قُطع منهم قرْنٌ؛ برز آخر.
٦. الصفة السادسة: كلما ظهر منهم قرن قطع.
٧. الصفة السابعة: مظاهر الصالحين وقلوب المتجبرين.
٨. الصفة الثامنة: كلاب النار.
٩. الصفة التاسعة: أشداء أحداء (أحادية التفكير والتعصب للرأي وعدم التوسط).
١٠. الصفة العاشرة: ذليقة ألسنتهم بالقرآن.
١١. الصفة الحادية عشرة: قوة النفس والجرأة والجلد.
١٢. الصفة الثانية عشرة: مُسَهَّمَةٌ وُجُوهُهُمْ كَأَنَّ أَيْدِيَهُمْ وَرُكَبَهُمْ ثَفِنٌ عَلَيْهِمْ قُمُصٌ مُرَحَّضَةٌ.
١٣. الصفة الثالثة عشرة: شر الخلق والخليقة. شر قتلى تحت أديم السماء.
١٤. الصفة الرابعة عشرة: يعجبون الناس وتعجبهم أنفسهم. الغرور والإعجاب بالنفس.

تمهيد: في المقصود بالصفات الخلقية.

الصفات الخَلْقية (بفتح الخاء وسكون اللام) هي باختصار السمات والعلامات الظاهرة من بدن الإنسان التي تنم في الغالب عن مخبره، وهي التي تشكل بعمومها مع العمل الظاهر مناط الحكم على الشخص في أحكام الدنيا وتعاملات الأفراد فإن البواطن لا يعلمها إلا الله، وقد جعل الله أمر معرفة البواطن والمحاسبة عليها راجع إليه وحده لا شريك، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام في الثابت عنه: "إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ..."(١)، وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في هذا المعنى:" إن أناسًا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ وإن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم فمن أظهر لنا خيرًا أمناه وقربناه وليس إلينا من سريرته

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، (٥/٦٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٢/٧٤٢).

شيء الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءًا لم نأمنه ولـــم نـــصدقه وإن قـــال إن سريرته حسنة"[١].

لكن إذا تبين بقرينة من القرائن المعتبرة شرعًا أن ما يظهره الشخص خلاف ما يبطنه؛ فإنه يعامل بناء على ما يقتضيه حاله من الحيطة والحذر، ومن تلك القرائن تعابير الوجه وفلتات اللسان والاشتهار بالكذب والدجل فلابد لكل من يخفي شيئًا في نفسه أن يظهر أثره في وجهه وجوارحه وأفعاله وأقواله، فإن الظاهر لا يتخلف عن الباطن في الغالب قال تعالى: (ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول) (٣٠: محمد). ومع ذلك فلا تكفي تعابير الوجه وبعض فلتات اللسان كي تثبت بها الدعوى على المدعى عليه، وإنما ينتفع بذلك المؤمن صاحب الفراسة لنفسه فيكون حذرًا ويقظًا ممن ظهر منه ذلك، وأما الدعاوى فلابد لها من بينات، واضحات، وطرائق، وإثباتات.

ومما لاشك فيه أن بواطن النفوس وما فيها من خير وشر وصدق وكذب وأمانة وخيانة تظهر آثارها على ملامح البدن وفلتات اللسان وأعمال الجوارح مهما اجتهد العبد في إخفائها وإظهار خلافها، ومن هنا جاء الأثر عن عثمان ﷺأنه قال: "ما أسرَّ أحد سريرة إلا أظهرها الله- عز وجل- على صفحات وجهه وفلتات لسانه"[٢]، وقال في حديث يرفعه إلى النبي ﷺ: يا أيها الناس، اتقوا الله في هذه السرائر، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "والذي نفس محمد بيده، ما عمل أحد قط سرًا إلا ألبسه الله رداء علانية، إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر" [٣].

وقال ابن عقيل في كتابه الفنون:"للإيمان روائح ولوائح لا تخفى على اطلاع مكلف بالتلميح للمتفرس، وقال إن يضمر مضمر شيئًا إلا وظهر مع الزمان على فلتات لسانه وصفحات وجهه"[٤]. قال ابن تيمية رحمه الله في الحديث" ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح البدن كله، وإذا فسدت فسد البدن كله، ألا وهي القلب"[٥]، فأخبر أن صلاح القلب مستلزم لصلاح سائر الجسد، وفساده مستلزم لفساده، فإذا رأى ظاهر الجسد فاسدًا غير صالح علم أن القلب ليس بصالح، بل فاسد، ويمتنع فساد الظاهر مع صلاح الباطن

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب الشهداء العدول (١٦٩/٣).

(٢) انظر: الآداب الشرعية، ابن مفلح (١٣٦/١)، وتفسير ابن كثير (٥٣٨/٦).

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (٣٦٨/١٢) من رواية سليمان بن أرقم وفيه ضعف، انظر: تفسير ابن كثير (٤٠١/٣)، كنز العمال حديث رقم (٥٢٩٠)، وانظر: الآداب الشرعية لابن مفلح (١٣٦/١).

(٤) الآداب الشرعية لابن مفلح (١٣٦/١ ــ ١٣٧).

(٥) صحيح البخاري، (٢٠/١) باب فضل من استبرأ لدينه، رقم(٢٠)، ومسلم، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، (١٢١٩/٣)، رقم(١٥٩٩).

كما يمتنع صلاح الظاهر مع فساد الباطن إذ كان صلاح الظاهر وفساده ملازمًا لصلاح الباطن وفساده "[١]

ويجدر التنبيه هنا إلى أمرين مهمين أولهما: أن هذه الصفات والأحوال ليس من شرطها أن تكون مجتمعة في الأفراد والجماعات في كل الأزمنة والأمكنة، بل قد تكون وصفًا غالباً في المجموع أحيانًا، وقد يتخلف بعضها أو يتغير بتغير الزمان والمكان أحيانًا، والثاني: أن هذه الصفات بآحادها قد توجد فيمن ليس من الخوارج ولا ينتحل مذهبهم ولا يرى رأيهم وعليه فلا ينبغي أن تكون بمفردها وآحادها مناطًا للأحكام والمواقف من الناس أفرادًا وجماعات.

والبحث في هذ الفصل سيكون مخصصًا للحديث عن أهم وأظهر الصفات الخلقية التي كانت علامات فارقة يعرف بها رؤوس الخوارج ومن تأثر بهم على مدى العقود التاريخية المتعاقبة ومع اختلاف الأعصار وتنوع الأمصار.

ومن هذه الصفات ما يأتي:

الصفة الأولى: حدثاء الأسنان. من الأوصاف النبوية للخوارج أنهم: (حدثاء الأسنان...)[٢]

والأحداث: جمع حدث، والحدث: صغير السن، والأسنان: جمع سن، والمراد به هنا: العمر وأنهم شباب[٣]، ودل الحديث على أن من الصفات المميزة للخوارج أنهم في غالبهم صغار في السن ويستتبع ذلك قلة الخبرة وضيق دائرة النظر والتفكير، ليست لهم تجارب، ولا سابق علم ومعرفة، قال النووي: "يستفاد منه أن التثبت وقوة البصيرة تكون عند كمال السن وكثرة التجارب وقوة العقل"[٤]. وهذا الوصف أنهم حدثاء الأسنان أغلبي لأنه قد يوجد في الخوارج شيوخ كبار ومتوسطي الأعمار غير أنهم قلة، والذي يظهر من سبب كثرة حدثاء الأسنان فيهم، ما يصاحب هذا السن غالباً من قلة الوعي والفقه في الدين، مع الحماسة، والاندفاع والصرامة التي تجد لها موطناً لدى الشباب ويقصر عنها كثير من الشيوخ، فهم صغار في السن وضعفاء في العقل، فقد جمعوا بين أمرين: صغر السن المتصف صاحبه – غالبًا – بعدم تقدير الأمور ووزنها بميزانها الصحيح، وبين ضعف العقل الدال على السفه وقلة البصيرة وسوء تقديره للأمور، وفي تاريخهم المديد

---

(١) انظر: الآداب الشرعية، ابن مفلح (١٣٦/١).

(٢) الحديث متفق عليه، وقد سبق تخريجه

(٣) انظر: فتح الباري (٣٠٠/١٢).

(٤) فتح الباري (٢٨٧/١٢).

ما يجلّي هذه الحقيقة؛ كما في خروجهم المتكرر على الولاة، لأتفه الأسباب، وما يستتبع الخروج من سفك الدماء، وإتلاف الأموال، وفتح أبواب الفتنة على أمة الإسلام لأتفه الدواعي، وإضعافها، واستنـــزاف قدراتها. والوقائعُ لمن تتبعها؛ لا تُحصر.

ولكونهم بهذه الصفة من حداثة السن وقلة العلم والعقل، وضيق الأفق، وعدم البصيرة، تجدهم ينافرون العلماء، ويحذّرون من مجالستهم، ويضيقون بهم ذرعاً، ويطلقون نحوهم الشائعات الكاذبة، والأراجيف الفاجرة، وينقلون عنهم أخباراً محرّفةً؛ مموهةً، ويجبنون عن مواجهتهم بالحجج والبراهين؛ لقلة زادهم من العلم الصحيح والرأي الرشيد، اتخذوا رؤوساً جُهّالاً يفتونهم على وفق ما تهوى أنفسهم وتميل أهواؤهم وأطماعهم فضلوا وأضلوا.

الصفة الثانية: سفهاء الأحلام.

من الصفات البارزة والمميزة لعموم طوائف الخوارج ما قاله ﷺ في وصفهم إنهم:"سفهاء الأحلام"[(١)]، أي: ضعاف العقول في عقولهم خفة وفي رأيهم رهق وعجلة، يقول الحافظ بن حجر في بيان معنى وصف النبي ﷺ للخوارج بأنهم سفهاء الأحلام قال:"الأحلام: جمع حِلم بكسر أوله والمراد العقل، والمعنى أن عقولهم رديئة"[(٢)]. ومما يدل على ذلك تاريخهم المليء بالخروج على أئمة الإسلام وترك عبدة الأوثان.

ومن نتائج وتبعات هذه الصفة الذميمة فيهم أن حوادث الخروج منهم على جماعة المسلمين وأئمتهم تقع في كثير من الأحيان والوقائع لأمور ليست بذات شأن وخطر في مقابل ما يتولد بخروجهم من فتن وبلاء وسفك للدماء وانتهاك للحرمات وتفريق المسلمين والتسبب في فشلهم وضعفهم وذهاب ريحهم، الأمر الذي يجعلهم مطمعاً لأعدائهم، وربما خرجوا من أجل أمور يرونها بجهلهم مخالفة للإسلام، وقد تكون أموراً مشروعة عند من فعلها يعذر فيها، ولا يجوز الخروج عليه بسببها، ولكنهم لعجلتهم ورهقهم وقلة فقههم وفساد رأيهم وضعف عقولهم يبادرون إلى الخروج دون تثبت ولا تفقه، كما كان من حالهم في خروجهم وقتالهم الخليفتين الراشدين عثمان وعليّ رضي الله عنهما وغيرهما من أئمة الإسلام والمسلمين.

---

(١) الحديث سبق تخريجه.

(٢) فتح الباري (١٢/٢٨٧).

الصفة الثالثة: سيماهم التحليق.

وهذا الوصف ثبت مرفوعًا إلى النبي ﷺ أنه قال فيما وصف به الخوارج: (...سيماهم التحليق)(١)، وفي رواية: "قالوا يا رسول الله: ما سيماهم؟ قال: التحليق"(٢). وفي رواية:"سيماهم التحليق أو التسبيد"(٣)، أي: من علاماتهم حلق الشعر واستئصاله. والمراد به: حلق شعر رؤوسهم على صفة خاصة، أو حلقها بالكلية، حيث لم يكن ذلك من عادة المسلمين ولا من هديهم في غير النسك، ولعل الحكمة من ذكر النبي ﷺ لهم بهذه الصفة – مع أن الحلق مباح في الشرع – تنبيه الناس عليهم بأوصاف حسية، فيدفعهم ذلك إلى التحقق من شأنهم، والنظر في بقية صفاتهم، فيحصل التحذير والإنذار من هذه الفرقة الضالة.

قال القرطبي في بيان المقصود بهذه الصفة:"أي جعلوا ذلك علامة لهم على رفضهم زينة الدنيا وشعارًا ليرفعوا به، كما يفعل رهبان النصارى، يفحصون عن أوساط رؤوسهم، وهذا كله منهم جهل بما يزهد فيه، وابتداع منهم في دين الله " (٤).

ومما يدل على أن هذه الصفة كانت من علامات الخوارج التي تميزوا بها عن الناس في عهد الصحابة والتابعين ما ثبت عن عمر بن الخطاب ﷺفي قصة الرجل الذي كان يتكلم في متشابه القرآن ويسعى بالفتنة والتشكيك في القرآن بين الناس، أنه لما أتي به إلى عمر ورآه قال: لو وجدتك محلوقًا لضربت الذي فيه عينيك(٥).

ومعناه أنه لو وجد عليه علامة الخوارج الظاهرة المشهورة عنهم في ذلك الوقت وهي حلق الرأس في غير نسك لضرب عنقه؛ لكونها علامة تدل بوضوح على أنه خارجي ضال مضل وقد جاءت الأحاديث الصريحة في الأمر بقتال الخوارج إذا ظهروا وأفسدوا والحث على قتلهم وإراحة البلاد والعباد من شرهم وفسادهم وأنهم شر قتلى تحت أديم السماء.

لكن ينبغي أن يعلم أن هذه الصفة ليست صفة دائمة أو ملازمة لهم في كل زمان ومكان، بل لهم في كل زمان صفة خاصة بهم كإطالة الشعور وهو ما هو مشهور بينهم في هذا الزمان وأمر فاش فيهم في القادة والأتباع، ولبس السواد وأحيانًا الأقنعة على الوجوه ونحو ذلك. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا المعنى: "هذه السيماء (التحليق..) سيما أولهم كما كان

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧٥٦٢) من حديث سهل بن حنيف وحديث أبي سعيد ومسلم في صحيحه (١٠٦٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه باب ذكر الخوارج (١٧٥) وجود إسناده الحافظ بن حجر في الفتح (٢٩٥/١٢).

(٣) التسبيد: هو حلق الشعر واستئصاله، وقيل هو ترك التدهين وترك الرأس. النهاية في غريب الحديث (٣٣٣/٢).

(٤) المفهم للقرطبي (١٢٢/٣).

(٥) أخرجه الدارمي (٢٥٢/١، تحت رقم ١٤٦)، والآجري في الشريعة (٤٨٣/١، تحت رقم ١٥٣)، (٢٥٥٦/٥، تحت رقم ٢٠٦٥)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٧٠٢/٤، تحت رقم ١١٣٧ – ١١٣٨).

ذو الثدية، لا أن هذا وصف لهم"[1]، أي أنه ليس من الأوصاف الملازمة لهم في كل الأزمنة والأمكنة، فالتحليق مع أنه سمة الخوارج الأولين لكنهم قد يتخلون عنه في بعض الأحوال وكان مقصودهم به التميز عمن عداهم من المسلمين، وهو نابعٌ من رغبتهم في التفرُّد عن سواد الأمة، وهذا الحرص على التفرد هو من علامات الخروج عن الجماعة التي كانوا يحرصون عليه من قديم ولازال ظاهر في جماعات الغلو المعاصرة في ملبسهم، أو تعاملهم، أو طريقة معيشتهم؛ رغبة عن مجموع الأمة وتميزًا عنها.

وقد أدرك هذا الانحراف سلف الأمة فنهوا عن مخالفة عادات الناس وأعرافهم حتى في المباحات، وعدُّوه من الشُّهرة المنهي عنها. [2]

إن من أعظم ما تشتمل عليه هذه الصفة من أنواع الباطل هو الاعتداد بالنفس والاستعلاء على الغير فيميل صاحبها إلى شيء من التميز بالملبس والصورة الظاهرة التي يديل بها على الغير ويكون فيها فتنته وهلاكه، ومن هنا ورد الكثير من الأحاديث الدالة على اتصافهم بالحلق والتسبيد، وقد عرف عنهم لبس الخشن والزهد في الدنيا، ومحل الذم هنا التدين بما لم يرد به الشرع واتخاذ هذا عادة يتميز بها أصحابها من دون الناس.

والحاصل أن الخوارج من منطلق اعتدادهم بأنفسهم وما أشربوه من الهوى في قلوبهم يتجهون في الغالب إلى اتخاذ شعارًا يتميزون به عن سائر الناس، ولهم في كل عصر أو مكان شعار يشهرونه، وهذا الشعار إما أن يكون في الراية، أو لون اللباس ومظهره، أو هيئة الجسم وملامحه، أو غير ذلك من السمت والسمات المظهرية.

الصفة الرابعة: غلظ الطباع وملامح الجفاء والبغضاء.

الخوارج على تعاقب أعصارهم واختلاف أمصارهم يتصفون في عمومهم بصفة لا تكاد تنفك عنهم وهي غلْظة في الطبع والجفاء في المعاملة، حتَّى قبل اعتناقهم للآراء الخارجية، ومقدمهم الذي أغلظ للرسول ﷺ وأنكر عليه قسمته للغنائم خير شاهد على هذا المعنى[3]، ولذلك فإنك لا تكاد تجِد خارجيًا على مدار التاريخ لين العريكة، سهل المعْشر، خافض الجناح للنَّاس، بل تجد أنَّ الصَّلف والغلظة في المعاملة، والشدَّة مع المخالف، والتعدي على الآخرين سمتهم الذي لا يتخلف، وتَجد أنَّ طباعهم الغالية تجنح كثيرًا إلى التنطُّع في الاختيارات، وسلوك الطرق الوعرة، ومحبَّة التَّحريم في الأحْكام والتشدد في الاختيارات، وفيهم التعصب للفكرة لدرجة الهوَس، مع التشدد في معاملة

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٤٩٧).

(٢) انظر: ابن أبي الدنيا في كتاب التواضع والخمول ص٨٦، (٦٢)، وابن أبي شيبة في المصنَّف، كتاب اللباس والزينة (٥/١٤٩).

(٣) الحديث سبق تخريجه.

المخالف، والخشونة في الدعوة والمجادلة والدِّفاع عن آرائهم، فلا رفْق فيما يصدر عنهم ولا عذر للمخالف، وإنما المفاصلة والمقاتلة، ولعلَّ السَّبب الجليَّ في ذلك أنَّ أكثرَ من تروق له أفكارهم ويميل إليهم الأغرار والجهال والغوغاء والجفاة من الأعراب؛ فسيماهم حدَّة الطَّبع والعجلة والتهور في الأحكام والمواقف والجفاء في التعامل مع الخاصة والعامة؛ ولأنَّ أفكار الخوارج وعقائدهم وسلوكياتهم لا تُوائم الطباع الليِّنة أو المتَّزنة والهادئة، وإنما تجد لها القبول الكبير عند ذوي الأخلاق الغليظة والنفوس المتجبرة والطباع الخشنة، وإذا اجتمع معها الجهل وقلة الفقه والبصيرة كانت الفتنة أعم والمصيبة أعظم.

الصفة الخامسة: كلما قُطع منهم قرْنٌ برز آخر إلى خروج الدجال.

من صفات الخوارج أن خروجهم مستمر إلى خروج الدجال الذي هو من علامات الساعة الكبرى المؤذنة بيوم القيامة ونهاية الحياة الدنيا، قال ﷺ: "لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع الدجال"[(١)]، وفي رواية ابن عمر: "كلما طلع منهم قرن قطعه الله عز وجل حتى يخرج الدجال في بقيّتهم"[(٢)]، وفي حديث ابن عمر: حتى يخرج في عراضهم الدجال"[(٣)]، وفي نسخة: "في أعراضهم (جمع عرض وهو الجيش العظيم)"[(٤)].

وعن عَبْد اللهِ بْن عَمْرٍو قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: "يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، كُلَّمَا قُطِعَ قَرْنٌ نَشَأَ قَرْنٌ، حَتَّى يَخْرُجَ فِي بَقِيَّتِهِمُ الدَّجَّالُ"[(٥)]

في هذا الحديث برواياته دلالة على أن خروجهم مستمر إلى قرب قيام الساعة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" قَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُمْ لَا يَزَالُونَ يَخْرُجُونَ إلَى زَمَنِ الدَّجَّالِ، وَقَدْ اتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ الْخَوَارِجَ لَيْسُوا مُخْتَصِّينَ بِذَلِكَ الْعَسْكَرِ (يعني: الذين قاتلوا عليًا رضي الله عنه)"[(٦)].

فأفاد الحديث: أن الخوارج فرقة من فرق الضلال الخطيرة والفتن المستطيرة، وأنها سيستمر وجودها والبلوى بها إلى آخر الزمان، غير أن ظهورها يكون على فترات

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٦/٣٣)، (١٩٧٨٣) وأبو داود الطيالسي (٩٢٣)، الحاكم في المستدرك (١٤٦/٢) وإسناده ضعيف وله شواهد.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٥٥٦٢) وأبو داود الطيالسي ص١٢٤ (٢٢٩٣) والحاكم في المستدرك (٤٨٦/٤) بإسناد ضعيف وله شواهد.

(٣) أخرجه ابن ماجة في المقدمة لسننه باب ذكر الخوارج (١٧٤)، إسناده حسن قال البوصيري في الزوائد (٨٤/١) هذا إسناد صحيح احتج البخاري بجميع رواته. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٨١٧٢) وصححه الأرناؤوط على المسند (٣٩٨/٩).

(٤) انظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه (٧٤/١).

(٥) رواه أحمد (٦٩٥٢) والحاكم (٨٥٥٨)، وصححه الشيخ أحمد شاكر.

(٦) "مجموع الفتاوى" (٤٩٥/٢٨-٤٩٦)

متقطعة فترة بعد فترة، وكلما ظهرت طائفة منهم قُطعت، وانتهى أمرها، ثم تظهر طائفة أخرى.... وهكذا، حتى يخرج الدجال في آخرهم.

الصفة السادسة: الخوارج لا يتم أمرهم كلما ظهر منهم قرن قطع.

في حديث ابن عمر ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: "ينشأ نشء يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، كلما خرج قرن قطع. قال ابن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كلما خرج قرن قطع أكثر من عشرين مرة...."[1]. ومن يستقرئ التاريخ من أول خروج الخوارج من عهد علي ﵁إلى وقتنا الحاضر يرى أنه مهما اشتدت شوكتهم وعلا شأنهم واستطار شرهم وعظمت فتنتهم قطع الله دابرهم وجعل أمرهم في تباب وسلط عليهم من يكسر شوكتهم ويستأصل شأفتهم.

روى الطبري بسند صحيح عن قتادة رحمه الله أنه كان إذا قرأ هذه الآية: (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ) (٧: آل عمران) قال:" إن لم يكونوا الحرورية والسبائية، فلا أدري مَن هم! ولعمري لقد كان في أهل بدر والحديبية الذين شهدوا مع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان مِن المهاجرين والأنصار خبر لمن استخبر، وعبرة لمن استعبر، لمَن كان يعقل أو يُبصر. إن الخوارج خرجوا وأصحاب رسول الله ﷺ يومئذٍ كثير بالمدينة والشام والعراق، وأزواجه يومئذ أحياء. والله إن خرج منهم ذكر ولا أنثى حرورياً قط، ولا رضوا الذي هم عليه، ولا مالأوهم فيه، بل كانوا يُحدِّثون بعيب رسول الله ﷺ إياهم ونعته الذي نعتهم به، وكانوا يُبغضونهم بقلوبهم، ويُعادونهم بألسنتهم، وتشتد والله عليهم أيديهم إذا لقوهم. [2]

ولعمري لو كان أمر الخوارج هدىً لاجتمع، ولكنه كان ضلالاً فتفرق. وكذلك الأمر إذا كان من عند غير الله وجدتَ فيه اختلافاً كثيراً. فقد ألاصوا [3]هذا الأمر منذ زمان طويل. فهل أفلحوا فيه يوماً أو أنجحوا؟ يا سبحان الله! كيف لا يعتبر آخر هؤلاء القوم بأولهم؟ لو كانوا على هدىً، قد أظهره الله وأفلجه ونصره، ولكنهم كانوا على باطل أكذبه الله وأدحضه. فهم كما رأيتهم، كلما خرج لهم قرن أدحض الله حجتهم، وأكذب أحدوثتهم، وأهراق دماءهم. إن كتموا كان قرحاً في قلوبهم وغماً عليهم. وإن أظهروه

---

(١) الحديث سبق تخريجه.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠هـ)، توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة، بدون تاريخ نشر، بدون طبعة، (١٨٧/٦-١٨٨).

(٣) في لسان العرب لابن منظور (٨٨/٧): الإِلاصَةُ: إِدارَتُك الإِنسانَ على الشيء تطلبُه منه، وما زلت أُلِيصُه وأُلاوِصُه على كذا وكذا أَي أُديرُه عليه.

أهراق الله دماءهم. ذاكم والله دين سوء فاجتنبوه. والله إن اليهودية لبدعة، وإن النصرانية لبدعة، وإن الحرورية لبدعة، وإن السبائية لبدعة، ما نزل بهن كتابٌ ولا سنهن نبي"[١].

الصفة السابعة: مظاهر الصالحين وقلوب المتجبرين.

وعلى هذه الحال رآهم ابن عباس رضي الله عنه، لما جاء لمناظرتهم، فقال: "فأتيتهم فدخلتُ على قوم لم أر أشد اجتهاداً منهم؛ أيديهم كأنها ثفن الإبل، وجوههم معلَّمة من آثار السجود "[٢].

لكن على المرء ألا يغتر باجتهادهم في العبادة، ومظاهر الصلاح البادية عليهم ما دموا جهّالًا متنطعين إذ لم تغن عنهم مظاهرهم شيئاً، فإنهم لمّا تنطعوا، وركبوا أهواءهم، وفارقوا سبيل أهل العلم؛ ضلوا عن الطريق الحق، وسلكوا سبل الشيطان، واقترفوا ما اقترفوا من الأمور العظام، التي تنبي عن سوء الطوية ومنتهى الضلال والعصبية.

ويكفي دليلًا على تجبرهم وقساوة قلوبهم، إقدامهم على قتل واستباحة دم أمير المؤمنين عثمان ﷺوكذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومدحهم لقاتله، وكذلك قتلهم لعبد الله بن خباب بن الأرت وجاريته، وغيرهم من الأخيار.

وكذلك قتلهم لرسول علي بن أبي طالب رضي الله عنه، الحارث بن مُرة، الذي أرسله يطلب تسليمهم لقتلة عبد الله بن خباب ليُقتص منهم، ورفضهم تسليم القتلة، وقولهم: كلنا قتله، ونحن مستحلون دمائكم وأموالكم. [٣]

وكان نافع بن الأزرق قد استباح قتل أطفال المخالفين له ونسائهم[٤]، وحكى المبرد في كتابه الكامل عن الخوارج أنهم في إحدى وقائعهم، لما طال عليهم المقام، انصرفوا لا يمرون بقرية بين أصفهان والأهواز، إلا استباحوها، وقتلوا من فيها [٥].

وعند الطبري، وابن الأثير في خبر الخارجي سهم بن غالب الهجيمي ما نصه:"...ثم كان خروج سهم بن غالب الهجيمي والخطيم واسمه يزيد بن مالك سنة ٤٦هـ فلما اجتمع لسهم سبعون رجلًا خرجوا على ابن أبي عامر الوالي من قبل معاوية.

خرج هؤلاء فنزلوا بين الجسرين والبصرة، وهناك أخذوا في ارتكاب جرائم القتل، وكانوا أشرارًا يقتلون من يقول إنه مسلم ويتركون من يقول إنه من أي ملة كان، ففي أثناء ذلك الخروج مر بهم الصحابي عبادة بن فرص الليثي راجعًا من غزو الكفار،

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٥/٢٠٧).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير، رقم الحديث (١٠٥٩٨).

(٣) انظر: تاريخ الطبري (٥/٨١ـ٨٢)، الكامل لابن الأثير (٣/٣٤٣).

(٤) انظر: الفرق بين الفِرق للبغدادي (٨٣)، والملل والنحل للشهرستاني (١/١٤٠).

(٥) انظر: الكامل (٣/٢١٢).

ومعه ابنه وابن أخيه فقال لهم الخوارج: من أنتم؟ قالوا: قوم مسلمون. قالوا: كذبتم. قال عبادة: سبحان الله! اقبلوا منا ما قبل رسول الله ﷺ مني، فإني كذبته وقاتلته ثم أتيته فأسلمت فقبل ذلك مني، قالوا: أنت كافر وقتلوه وقتلوا ابنه وابن أخيه"[١].

فهؤلاء القوم أياديهم ملوثة بدماء أهل الإسلام، ولو رمنا تتبع فظائعهم على مرّ التاريخ، لملئت مجلدات من أعمال القتل، وسفك دماء من لا ناقة لهم ولا جمل من عوام المسلمين وعلمائهم وصالحيهم، واستخفافهم بأرواح الألوف من أهل الإسلام، وكأنهم أهون عليهم من الذباب!!

الصفة الثامنة: كلاب النار.

قال ﷺ: "الخوارج كلاب النار"[٢]، وفي حديث أبي أمامة: "كلاب النار، كلاب النار، كلاب النار ثلاثاً" [٣].

وهذا الحديث يحتمل أن يكون على ظاهره، وأن الخوارج يكونون في النار على صورة الكلاب، ويحتمل أنهم يكونون في النار على بعض صفات الكلاب، أو وجوه الشبه بهم.

قال الإمام القاري رحمه الله:"أَيْ هُمْ كِلَابُ أَهْلِهَا، أَوْ عَلَى صُورَةِ كِلَابٍ فِيهَا"[٤]. وقال المناوي رحمه الله:"أي أنهم يتعاوون فيها عواء الكلاب، أو أنهم أخس أهلها، وأحقرهم، كما أن الكلاب أخس الحيوانات وأحقرها"[٥]، وقيل لأن الكلب لا يزال ينبح ويستهيج الناس حتى يدلَ العدوَّ على قومه؛ أو لأنهم لا يزالون موغلين تقتيلاً في المسلمين وتكفيراً؛ كمثل الكلب إذا جاع فإنه يرجع إلى ذنبه فيأكلَه.

والحكمة من عقابهم بهذا العقاب: أنهم كانوا في الدنيا كلابًا على المسلمين، فيكفرونهم ويعتدون عليهم ويقتلونهم، فعوقبوا من جنس أعمالهم، فصاروا كلابًا في الآخرة. [٦]

وقال أيضًا:"وذلك لأنهم دأبوا ونصبوا في العبادة، وفي قلوبهم زيغ، فمرقوا من الدين بإغوائهم شيطانهم، حتى كفروا الموحدين بذنب واحد، وتأولوا التنزيل على غير وجهه، فخذلوا بعدما أُيِّدوا، حتى صاروا كلاب النار، فالمؤمن يستر ويرحم، ويرجو المغفرة والرحمة، والمفتون الخارجي يهتك ويقنط، وهذه أخلاق الكلاب وأفعالهم، فلما

(١) تاريخ الطبري (٣/٢٢٨)، الكامل (٣/١٦).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٩١٣٠) وابن ماجة في سننه (١٧٣) وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة (١٥١٢) وابن أبي عاصم في السنة (٩٠٤) والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٤٧). وفي صحيح الترمذي وفي "صحيح ابن ماجة".

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٢١٥١) بإسناد حسن وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٤٧).

(٤) مرقاة المفاتيح (٦/٢٣٢٣).

(٥) فيض القدير (١/٥٢٨).

(٦) انظر: المصدر السابق (٣/٥٠٩).

كَلَبوا على عباد الله، ونظروا لهم بعين النقص والعداوة، ودخلوا النار صاروا في هيئة أعمالهم كلاباً كما كانوا على أهل السنة كلاباً بالمعنى المذكور"[١].

الصفة التاسعة: أشداء أحداء.

في الحديث أنه ﷺ قال في شأن الخوارج:"أَلا إِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ أَشِدَّاءُ أَحِدَّاءُ ذَلِيقَةٌ أَلْسِنَتُهُمْ بِالْقُرْآنِ..." [٢].

أَشِدَّاءُ: جمع شَديد، والشَّدِيدُ: القويُّ الصَّعْبُ، والشِّدَّةُ: الصَّلابةُ، وهي نَقِيضُ اللِّين.أَحِدَّاءُ: من حِدَّة الخُلُق: وهي نزعة الغضب والانفعال بسرعة، وفيه حِدَّة: أي شدَّة ولهجة حادّة غاضبة، والحِدَّة: القوّة. يُقال: أَخَذَتْه حدّةُ الغَضب. [٣]

هذا الحديث يدل على أن نفسيَّة الخوارج في الأعم الأغلب نفسية حدية أحادية لا تقبل الوسطيَّة أو الاختلاف، فإمَّا معها أو ضدَّها، لا تقبل أن تكون معها في أمر، وتخالفها في آخر أو حتى في بعض الأمر، فإمَّا موافقتها حذْو القذَّة بالقذَّة، أو المفاصلة والمقاطعة والمقاتلة، والعناد والمكابرة وبطر الحق من سمات الخوارج من سلف منهم والمتأخرين وفيهم جلد على حمْل الفِكْرة، حتَّى لو وقف النَّاس كلُّهم في طريقها، ولو راجع الخارجي في المسألة أعلم القوم، وسُردت أدلَّة الوحي كلّها على خطئِه، ما زاده ذلك ــ في الغالب ــ إلا إصرارًا على هواه ومن المخالف له إلاَّ نفورًا؛ ولذا لا يتورَّع من مفاصلة أقْرب النَّاس إليْه إذا لم يسِر على ما يريد، وقد بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية عند حديثه عن أسباب نشوء الفِرق أنَّ أوَّل قضيَّة افترقت فيها الفرق هي: مسألة اجتِماع الخير والشَّرّ، والبدعة والسنَّة، والمعصية والطَّاعة في النفس الواحدة، فيقرِّر أنَّ الخوارج قالوا: لا يجتمع في الإنسان خير وشر؛ ولذا كفَّروا بالمعصية لأنَّهم يروْن استحالة أن يجتمع في الإنسان طاعة ومعصية، فإن وقع في معصية انتفى أصلُ إيمانه، والمرْجِئة في المقابل قالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب، وأمَّا أهل الحقّ والسنَّة فقالوا: يجتمع في الإنسان خيرٌ وشرٌّ، وطاعة ومعصية، فيوالَى على قدْر ما به من طاعة، ويُعادَى على قدر ما به من معصية.[٤]

وهذه النفسية الحدية والنظرة الأحادية أورثتهم الحدة والشدة في التعامل مع المخالفين لهم من أهل القبلة فهم يرون أن مخالفيهم من أهل القبلة كفار مرتدون عن الإسلام تجب مقاتلتهم ومقابلتهم بالقوة ومعاملتهم بالشدة والغلظة، كما تظهر آثار هذه النفسية الحدية

---

(١) المصدر السابق (٧٦٩/٣).

(٢) رواه احمد (٩٧/٣٤) ت. شعيب الأرناؤوط، ط. الرسالة، بيروت، وابن ابي عاصم في السنة (٤٤٣) قال الألباني: إسناده صحيح على شرط مسلم، والحاكم في المستدرك (١٥٩/٢) ت. مصطفى عبد القادر عطا، ط. دار الكتب العلمية، بيروت).

(٣) انظر: المعجم الوسيط (١٦١/١).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٢٠٨/٢٨ ــ ٢٠٩).

المتشنجة في سمتهم وعلى وجوههم وتعاملهم مع مخالفيهم، فالمجافاة والمباعدة لمن يخالفهم أمر ملازم لهم لا يكاد يفارقهم على امتداد تاريخهم وتعاقب أجيالهم.

وقد أورثهم ضعف علمهم وغياب العدل فيهم التحسس المفْرِط من مخالفيهم؛ كما أوقعهم في ردود أفعال متهورة ومواقف غير محسوبة العواقب وفتاوى شاذة ومستنكرة، فجملة من آرائهم وليدة مواقف حادة، ونتاج وقائع وحوادث صاغت أقوالهم، وصنعت أفكارهم، ومثال ذلك: أن الإفراط في الأَنفَة، والنفرة الجامحة من الأئمة وغلبة الهوى جعلت النجدات من الخوارج تقول:"لا يلزم الناس فرض الإمام، وإنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم"(١)، وذهبت بطائفة منهم إلى القول بجواز تولي المرأة الإمامة الكبرى، حيث زعموا أن غزالة أم شبيب هي الإمام بعد قتل ابنها شبيب(٢).

الصفة العاشرة: ذليقة ألسنتهم بالقرآن.

في الحديث يقول رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" سَيَخْرُجُ قَوْمٌ أَحْدَاثٌ أَحِدَّاءُ أَشِدَّاءُ، ذَلِيقَةٌ أَلْسِنَتُهُمْ بِالْقُرْآنِ، يَقْرَءُونَهُ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ، فَأَنِيمُوهُمْ، ثُمَّ إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّهُ يُؤْجَرُ قَاتِلُهُمْ " (٣).

ذَلِيقُ اللِّسانِ: هو البَلِيغُ الفَصيحُ(٤)، وقوله في الحديث: (ذَلِيقَةٌ أَلْسِنَتُهُمْ بِالْقُرْآنِ): أي فصيحة ألسنتهم بالقرآن.

ومعنى ذلك أن الخوارج ولاسيما في مبتدأ أمرهم كانوا أهل فصاحة وبلاغة ومعرفة بقراءة القرآن وتجويده، وهذا مما يغري بالفتنة بهم والاغترار بظاهرهم كما قال تعالى عن المنافقين: (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ...) (٤: المنافقون)، والحقيقة أن الخوارج في عمومهم لم يكن لهم من العلم بكتاب الله إلا مجرد كثرة التلاوة والترديد لآياته، أما ما وراء ذلك من العلم والفقه فيه ومعرفة تأويله فهم خلوٌ منه، لا يعرفون محكمه من متشابهه، ولا يميزون ناسخه من منسوخه (وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ) (٧٨: البقرة)، أي أن حظهم منه ليس إلا مجرد التلاوة وترديده باللسان، ولذا قال في الحديث (يقرءونه لا يجاوز تراقيهم) أي أنهم لايفقهونه ولا يلج إلى عقولهم وقلوبهم فينتفعون به، وقد يوجد في الخوارج من يجادل بالقرآن لكنه جدال المبطل المعاند لا جدال العالم بالحق أو الطالب له

(١) انظر: الفصل لابن حزم (٧٢/٤).
(٢) انظر: الفرق بين الفرق (٨٩).
(٣) سبق تخريجه.
(٤) انظر: المعجم الوسيط (٣١٤/١).

أو المنافح عنه كما حصل من سؤلات ومجادلات الخوارج لعلي وابن عباس وابن عمر وعمر بن عبد العزيز وغيرهم من الصحابة والتابعين وأئمة الدين، ومن ضلالهم في هذا الباب رد كثير منهم للسنة الثابتة المخالفة لأهوائهم بزعم أنه لا حجة إلا في القرآن وحده.

الصفة الحادية عشرة: قوة النفس والجلد والجرأة بلا رشد وتبصر.

الخوارج عمومًا يتصفون بقوة النفس والجرأة والجلد الذي يغري بهم الناظر إليهم، فيعجب بحالهم ومقالهم، حتى قال النبي ﷺ في وصفهم: (يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ)(١)

إلا أن قوة النفس هذه: قد استعملوها في الظلم والاعتداء على دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم، بناء على أصلهم الباطل في تكفير المسلمين بمجرد الذنوب، واستحلوا منهم مالم يستحلوه حتى من الكفار من أهل الذمة وغيرهم.

وكانت للخوارج روح قتالية مندفعة ومتهورة في كثير من الأحيان، هذه الروح القتالية المندفعة كانت تحمل الخوارج على مواجهة مخالفيهم بكلّ شدة وصرامة وبلا حساب للعواقب إلى درجة الانتحار. وإننا نجد في تاريخ الخوارج حوادث من الإقدام والجرأة قل نظيرها في تاريخ البشر. وقد ربتهم روح الإقدام ونكران الذات على الشجاعة والجرأة المتهورة التي لا رحمة فيها ولا عقل ولا تراجع.

يقول عنهم ابن عبد ربّه:" وليس في الفرق كلها.. أشد اجتهاداً، ولا أوطن أنفساً على الموت. منهم الّذي طعن، فأنفذه الرمح، فجعل يسعى إلى قاتله ويقول: وعجلت إليك ربِّ لترضى" (٢).

وأرسل معاوية شخصاً كان ابنه من الخوارج ليعيد هذا الابن إليه، فلم يستطع الأب ارجاع ابنه عن عزمه. وأخيراً قال له: أي بني، سأذهب لآتي لك بوليدك الصغير لعل حنان الأبوة يعيدك إليه. فقال الابن: والله إنّي لأشوق إلى الضربة الشديدة مني إلى ولدي(٣).

واشتهر الخوارج بإقدامهم في القتال واندفاعهم في المواجهات مع جيوش دولة الإسلام وتقديمهم أنفسهم وما يملكون في نصرة أهواءهم وضلالهم كما اشتهروا بقوة النفس والجرأة والشجاعة التي طبعت سلوكهم وسجلها لهم خصومهم قبل موافقيهم. قال ابن هبيرة: " هؤلاء إنما أُتُوا مِن الغلو في الدين، وكونهم جفت طباعهم حتى ظنوا أن

(١) رواه مسلم كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج (٢/٧٤٤).
(٢) فجر الإسلام: ٢٦٣ نقلًا عن العقد الفريد.
(٣) انظر: الكامل لابن الأثير (٣/٤١٠).

الدين كله إهانة النفوس للقتل، وأكل الجشب، ولبس الخشن وغير ذلك، فرأوا الصبر على القتل ظانين أن ذلك مما يقربهم عند الله عز وجل، وكان ذلك غلطاً منهم، وسوء تدبير؛ فإن الحق هو ما شرعه الله عز وجل في الحنيفية السمحة السهلة، وأن يكونوا أشداء على الكفار، رحماء بينهم " [١].

وكان الخوارج يشترطون في زعمائهم الشجاعة والزهد في الدنيا والرئاسة ويبايعونهم على الموت ويلقبون كلا منهم بأمير المؤمنين. وكان قتالهم لمخالفيهم والموت في هذا السبيل يعد لديهم من الأمنيات التي كانت تجذبهم إلى مزيد من التضحية والاستبسال في مواجهة الخصوم وهم يرون أنفسهم المسلمين حقًا دون سواهم وتمتلي خطبهم وأشعارهم بالتأكيد على هذا المعنى، ومن ثم مطالبة الأتباع بالثبات على مبادئهم والموت في سبيلها وتقديم الأنفس رخيصة لنصرتها.

يقول شاعرهم قطري بن الفجاءة[٢]:

أقولُ لَها وَقَد طارَت شَعاعا ... مِنَ الأَبطالِ وَيحَكِ لَن تُراعي

فَإِنَّكِ لَو سألت بَقاءَ يَوم ... على الأَجَلِ الّذي لَكِ لَن تُطاعي

فَصَبراً في مَجالِ المَوتِ صَبراً ... فَما نَيلُ الخُلودِ بِمُستَطاعِ

وقال معاذ بن جوين بن حصين أحد شعرائهم[٣]:

ألا أيها الشارون قد حان لامرئ ... شرى نفسه لله أن يترحلا

أقمتم بدار الخاطئين جهالة ... وكل امرئ منكم يصاد ليقتلا

فشدوا على القوم العداة فإنما ... إقامتكم للذبح رأيا مضلالا

فيا ليتني فيكم على ظهر سابح ... شديد القصيري دارعا غير أعزلا

ويا ليتني فيكم أعادي عدوكم ... فيسقيني كأس المنية أولا

الصفة الثانية عشرة: التشديد على النفوس وتحميلها المشاق وحرمانها من الطيبات المشروعة.

لما استأذن ابن عباس عليا ـ رضي الله عنه ـ قبل يوم النهروان لمقابلة الخوارج والتعرف على شكايتهم وما ينقمونه عليه وليبذل لهم النصح، عاد ابن عباس ووصفهم بقوله:"...دخلت

---

(١) الإفصاح (٢٨٢/١).

(٢) انظر: الأبيات: أمالي المرتضى (ص٦٤٤)، والعقد الفريد (٩٦/١)، وتذكرة الصفدي (٤/٢)، وفيات الأعيان، ابن خلكان (٩٤/٤).

(٣) انظر: شعراء الخوارج ت. د/إحسان عباس (٤٥).

على قوم لم أر قط أشد منهم اجتهادًا، جباههم قرحة من السجود، وأياديهم كأنها ثفن الإبل، وعليهم قمص مرحضة مشمرين، مسهمة وجوههم من السهر"[1].

مُسَهَّمَةٌ وُجُوهُهُمْ: أي متغيرة من أثر الجوع والسهر، **وفي** حديث أم سلمة رضي الله عنها: دخل علي رسول الله ﷺ ساهم الوجه أي: متغيرهُ. يقال: سهم لونه يسهم إذا تغير عن حاله لعارض. وفي حديث أم سلمة: يا رسول الله ما لي أراك ساهم الوجه، والخيل ساهمة الوجوه؛ وكذا الرجل إذا حمل على كريهة في الحرب، والسهوم: العبوس عبوس الوجه من الهم [2].

أياديهم كأنها ثَفِنُ الإبل: الثفنُ مفردها (ثفنة) بكسر الفاء: وهي ما ولى الأرض من كل ذات أربع إذا بركت، كالركبتين وغيرهما، ويحصل فيه غلظ من آثار البروك، وتجمع أيضًا على ثفنات [3]. عليهم قمص مرحضة أي: مغسولة، وثوب رحض غسل حتى خلق. وثوب رحيض مرحوض: مغسول [4].

كان الخوارج من المتعبدين المتنسكين، يمضون الليل في العبادة، وقراءة القرآن. وعن جندب الأزدي قال: "لمَّا عدلنا إلى الخوارج ونحن مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فانتهينا إلى معسكرهم، فإذا لهم دوي كدوي النحل من قراءة القرآن"[5]. فقد كانوا أهل صيام وصلاة وتلاوة للقرآن، لكنهم تجاوزوا حد الاعتدال، إلى درجة الغلو والتشدُّد، الذي قادهم إلى مخالفة قواعد الإسلام.

وهذه الصفات الظاهرة التي بدت على وجوههم وأطرافهم وعموم أبدانهم وهيئتهم هي مصداق لما أخبر به النبي ﷺ عن الخوارج من أنهم من أشد الناس غلوًا في الديانة وأجلدهم في العبادة والزهد في الدنيا وملذاتها، وأخبارهم في هذا المعنى تفوق الحصر ومما جاء من أخبارهم في ذلك أنه لما قتل زياد ابن أبيه أحد الخوارج دعا خادمه فسأله عن حاله وزهده وعبادته، فقال موجزًا في كلامه: ما قدمت له طعاماً في النهار ولا فرشت له فراشاً في الليل، فقد كان صائماً نهاره وقائماً بالعبادة ليله. [6]

والحقيقة أن هذا الصلاح في الظاهر وإن كان في بعضهم ناتج عن صدق وديانة ينقصها الفقه والتوفيق، فإنه لدى كثير ممن ينتسبون لهم ويلبسون لباسهم يخفي الكثير من

(١) الحديث سبق تخريجه.
(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث: (٤٢٩/٢).
(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث: (٢١٦/١).
(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث: (٢٠٨/٢).
(٥) تلبيس إبليس (٨٤/١).
(٦) انظر: الكامل للمبرد: (١١٦/٢).

الهوى والطمع وحب التقدم والرئاسة، وهذا ما شهد ويشهد به واقعهم في القديم والحديث وهم في تعمُّقِهم قد سلكوا طريقًا ما سلكه محمد ﷺ، ولا دعا إليه القرآن الكريم؛ وقد طمِعوا في الجنة وسعو لها بطريق التعمُّق والتشدُّد والغلو في الدين غلوًا أخرجهم عن الحد الصحيح، ولذلك حذر النبي ﷺ من التعمُّق والتشدُّد في الدين، وأخبر أن المتنطِّع مستحق للهلاك والخسران فقال:"هلك المتنطِّعون"[1] قالها ثلاثًا، وبهذا يتبيَّن شذوذ منهج الخوارج، وكل من سلك طريقهم المبني على الغلو والتنطع المذموميْن، فإن الإسلام قد جاء بالحنيفية السمحة، وقد قال ﷺ:"إن الدين يسر، ولن يُشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا ".[2]

الصفة الثالثة عشرة: شر الخلق والخليقة، شرار الخلق، شر قتلى تحت أديم السماء.

من صفات الخوارج الثابتة في نصوص السنة أنهم شر الخلق والخليقة: قال ﷺ:"هم شر الخلق أو أشر الخلق"[3]، وفي رواية: "هم شر الخلق والخليقة"[4]، وقد دل الحديث بمجموع رواياته أن الخوارج من شر خلق الله وأبغضهم إليه، وصح ذلك عن ابن عمر رضي الله عنهما فإنه يراهم شر الخلق "انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المسلمين"[5]. وقال الحافظ ابن حجر: "فيه أن الخوارج شر الخلق المبتدعة من الأمة المحمدية"[6]. وقال الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله تعالى–: " الخوارج قوم سوء، لا أعلم في الأرض قومًا أشر منهم"[7]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الخوارج:"وما روي من أنهم شر قتلى تحت أديم السماء...في الحديث الذي رواه أبو أمامة رواه الترمذي وغيره. أي أنهم شر على المسلمين من غيرهم فإنهم لم يكن أحد شرًا على المسلمين منهم لا اليهود ولا النصارى فإنهم كانوا مجتهدين في قتل كل مسلم لم يوافقهم مستحلين لدماء المسلمين وأموالهم وقتل أولادهم مكفرين لهم وكانوا متدينين بذلك لعظم جهلهم وبدعتهم المضلة"[8]، وقال فيهم أيضًا:"وأهل السنة ولله الحمد متفقون على أنهم مبتدعة ضالون، وأنه يجب قتالهم بالنصوص الصحيحة، وأن أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه كان من أفضل أعماله قتاله الخوارج، وقد اتفقت الصحابة على قتالهم.... "[9].

---

(1) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون (٤/٢٠٥٥).
(2) رواه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان، باب الدين يسر (١/١٦).
(3) أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد (٢٤٥٧).
(4) أخرجه مسلم من حديث أبي ذر (٢٤٦٩).
(5) البخاري معلقاً وصححه الحافظ في الفتح (١٢/٢٨٦).
(6) فتح الباري لابن حجر (٢/٣٠٢).
(7) السنة لأبي بكر الخلال: (١/١٤٥).
(8) منهاج السنة (٥/٢٤٨).
(9) منهاج السنة (٦/١١٦).

وقال أيضًا: "...ولهذا كثيرا ما يكون أهل البدع مع القدرة يشبهون الكفار في استحلال قتل المؤمنين وتكفيرهم كما يفعله الخوارج والرافضة والمعتزلة والجهمية وفروعهم لكن فيهم من يقاتل بطائفة ممتنعة كالخوارج والزيدية، ومنهم من يسعى في قتل المقدور عليه من مخالفيه إما بسلطانه وإما بحيلته، ومع العجز يشبهون المنافقين يستعملون التقية والنفاق كحال المنافقين..." [1].

وعن بكير بن الأشج أنه سأل نافعًا كيف كان رأي ابن عمر في الخوارج، فقال: "كان يقول:هم شرار الخلق انطلقوا إلى آيات أنزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين"[2].

وقول ابن عمر ﵄ هذا، سببه أمران:

الأمر الأول: أن الخوارج كانوا أناساً جهلة اعتدوا على نصوص الشرع بأهوائهم فتأولوا بعضها، وأبطلوا بعضها الآخر، فكان أن ابتدعوا قولاً في الدين خرجوا به عن إجماع وجماعة المسلمين، واتبعوا سبيلاً غير سبيل الصحابة والتابعين، فأصل قضيتهم وبلائهم في القرآن: أنهم تأولوه على غير تأويله، ثم كفروا المسلمين بما ليس مكفراً، واستحلوا دماءهم بذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"..والمقصود: أن النبي ﷺ قال: (إني تارك فيكم ثقلين: كتاب الله)، فحض على كتاب الله ثم قال: (وعترتي، أهل بيتي؛ أذكركم الله في أهل بيتي، ثلاثاً)؛ فوصى المسلمين بهم، لم يجعلهم أئمة يرجع المسلمون إليهم، فانتحلت الخوارج كتاب الله، وانتحلت الشيعة أهل البيت، وكلاهما غير متبع لما انتحله.

فإن الخوارج خالفوا السنة التي أمر القرآن باتباعها، وكفروا المؤمنين الذين أمر القرآن بموالاتهم. ولهذا تأول سعد بن أبي وقاص فيهم هذه الآية (وما يضل به إلا الفاسقين * الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض)، وصاروا يتتبعون المتشابه من القرآن فيتأولونه على غير تأويله، من غير معرفة منهم بمعناه، ولا رسوخ في العلم، ولا اتباع للسنة، ولا مراجعة لجماعة المسلمين الذين يفهمون القرآن"[3].

الأمر الثاني: أن هؤلاء الخوارج يتصفون بقوة النفس والجرأة والجلد الذي يغري الناظر إليهم، ويعجب منه، حتى قال النبي ﷺ في وصفهم: (يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ).[4]

(١) الفتاوى الكبرى (٥٢٧/٦).
(٢) الاستذكار (٥٠١/٢).
(٣) مجموع الفتاوى " (٤٨١/٧ – ٤٨٢).
(٤) رواه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤).

إلا أن قوة النفس هذه: قد استعملوها في الظلم والاعتداء على دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم، بناء على أصلهم الباطل في تكفير المسلمين بمجرد الذنوب، واستحلوا منهم مالم يستحلوه من الكفار،وهذه صفات الخوارج في جميع الأمكنة والعصور.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى:" وقصدوا – أي الخوارج – بلاد العراق وخراسان، فتفرقوا فيها بأبدانهم وأديانهم ومذاهبهم ومسالكهم المختلفة المنتشرة، التي لا تنضبط ولا تنحصر؛ لأنها مفرعة على الجهل، وقوة النفوس، والاعتقاد الفاسد "(١).

وقال ابن أبي شيبة حدثنا أبو أسامة عن ابن عون عن عمير بن إسحاق قال: ذكروا الخوارج عند أبي هريرة فقال: " أولئك شرار الخلق"(٢).

وكان سمرة بن جندب – رضي الله عنه – شديداً على الخوارج فكانوا يطعنون عليه(٣)، وقال الآجري رحمه الله:"لم يختلف العلماء قديماً وحديثاً أن الخوارج قوم سوء عصاة لله عز وجل ولرسوله ﷺ وإن صلوا وصاموا واجتهدوا في العبادة، فليس ذلك بنافع لهم، وإن أظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وليس ذلك بنافع لهم لأنهم قوم يَتَأَوَّلُونَ القرآن على ما يَهْوُونَ ، ويُمَوِّهُونَ على المسلمين..." (٤).

الصفة الرابعة عشرة: يعجبون الناس وتعجبهم أنفسهم.

ومن صفات الخوارج الثابتة في النصوص أنهم يعجبون بأنفسهم ويقعون في العجب والغرور بأعمالهم ــ شعروا بذلك أم لم يشعروا ــ ولما يرون من تعظيم الناس لظواهرهم ومظاهرهم، قال رسول الله ﷺ: " إِنَّ فِيكُمْ قَوْمًا يَعْبُدُونَ وَيَدْأَبُونَ، حَتَّى يُعْجَبَ بِهِمُ النَّاسُ، وَتُعْجِبَهُمْ نُفُوسُهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ" (٥).

فالخوارج لقلة فقههم واستيلاء الهوى عليهم يُعرفون في غالبهم بالكبر والغرور والتعالي على عباد الله، والإعجاب بأنفسهم وأعمالهم، ولذلك يُكثرون من التفاخر بما قدموه وما فعلوه، ويدفعهم غرورهم لادعاء العلم، والتطاول على العلماء، ومواجهة الأحداث الجسام، بلا تجربة ولا رَوية، ولا رجوع لأهل الفقه والرأي.

---

(١) البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ – ١٩٨٨م، (٢٦٣/٨)

(٢) فتح الباري، لابن حجر (٢٨٦/١٢).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (١٥٠/٣).

(٤) الشريعة للآجري (٣٢٥/١).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (١٢٨٨٦) وابن أبي عاصم في السنة (٩٣٥). وقال الألباني إسناده صحيح في ظلال الجنة (٩٣٥).

الفصل الثالث

في بيان جملة ما جاء في النصوص والآثار من صفات الخوارج الخُلقية والمقصود بها.

تمهيد: في المقصود بالصفات الخلُقية، وبعده أهم الصفات الخلُقية

١- الصفة الأولى: القراءة والحفظ بلا فهم (يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم) (يحسبون أنه لهم وهو عليهم).

٢- الصفة الثانية: يقتلون أهل الإسلام ويَدَعُون أهل الأوثان.

٣- الصفة الثالثة: يحسنون القول ويسيئون العمل. (يقولون من خير قول البرية).

٤- الصفة الرابعة: العصبية القبلية وفتنة المال وحب الرئاسة.

٥- الصفة الخامسة: تجويزهم على النبي ﷺ ما لا يجوز في حقه (كالجور).

٦- الصفة السادسة: يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

٧- الصفة السابعة: يخرجون على حين فرقة بين المسلمين.

٨- الصفة الثامنة: غلو وتبتل واجتهاد في ضلال.

٩- الصفة التاسعة: الانعزال والتكتم والسرية.

١٠-الصفة العاشرة: الغدر والظلم والتسرع في الأحكام والمواقف.

١١-الصفة الحادية عشرة: كثرة الجدال واللَّدد في الخصومة.

١٢-الصفة الثانية عشرة: الاعتداد بالرأي والتعالي والغرور والتمادي في الباطل.

١٣-الصفة الثالثة عشرة: تكفير المخالفين، واستحلال دمائهم، وأموالهم، وأعراضهم.

١٤-الصفة الرابعة عشرة: ركوبهم للفتن لأدنى سبب ومن غير تبصر في العواقب.

١٥-الصفة الخامسة عشرة: سهولة اختراقهم واستغلالهم من قبل أعداء الإسلام.

١٦ــ الصفة السادسة عشرة: لا يستقيم لهم دين ولا دنيا.

١٦-الصفة السابعة عشرة: إذا مرقوا من الإسلام لا يرجعون إليه.

١٧-الصفة الثامنة عشرة: التدين بالخروج على جماعة المسلمين وعدم السمع والطاعة لولاة الأمور (شعار لا حكم إلا لله).

١٨-الصفة التاسعة عشرة: الأجر العظيم لمن قتلهم أو قتلوه.

١٩- الصفة العشرون: الطعن في العلماء وأهل الفضل والمكانة.

٢٠-الصفة الحادية والعشرون: سرعة الفتنة فيهم وبهم.

٢١-الصفة الثانية والعشرون:انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين.

٢٢-الصفة الثالثة والعشرون: يرون الحجةَ في القرآن دون السنة. (إن لَم توافق أهواءهم دفعوها إما بالرد أو بالتأويل).

٢٣- الصفة الرابعة والعشرون: ليس فيهم من الصحابة ولا الأئمة والعلماء وأهل الفقه في الدين أحد.

٢٥- الصفة الخامسة والعشرون: الغاية تبرر الوسيلة عندهم. (ترك الجمع والجماعة، حلق اللحى، لبس النساء والتنكر، التعاون مع الكفرة والظلمة والمبتدعة ضد أهل السنة، التجارة في الممنوعات والتعدي على النفوس والأموال المعصومة).

تمهيد: في المقصود بالصفات الخُلُقية.

نعني بالصفات الخلقية (بضم الخاء واللام): الصفات العملية الاختيارية التي تنتج عن إرادة وقصد وتكون من الرسوخ والتمكن في نفوس أصحابها حد الطبع الملازم لصاحبه الذي يتبناه ويلتزمه ويدافع عنه.

وهذا الحد يدخل فيه العديد من الصفات والسمات المحمودة والمذمومة، والمقصود من هذه الصفات والأحوال في هذا الفصل ما يتعلق فقط بالصفات والأحوال التي هي من خصائص الخوارج في الغالب أو كانت من علاماتهم البارزة والفارقة التي دلت عليها النصوص الشرعية وآثار السلف المرعية.

ومن أبرز هذه الصفات ما يأتي:

الصفة الأولى: سوء الفهم لكلام الله، القراءة والحفظ بلا فهم.

وهذا مأخوذ من وصف النبي ﷺ لهم، بأنهم:"يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم"[(١)]، وقوله:"يحسبون أنه لهم وهو عليهم"[(٢)]. فهُم يُكثِرونَ من قراءةِ القرآنِ والاستدلالِ به، لكنْ دونَ فِقهٍ وتمييز وتعقل، بل يَضَعونَ آياته في غيرِ مَوضعِها؛ ولهذا جاء وَصفُهم في الأحاديثِ: (يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ يَحْسَبونَ أنَّه لَهُمْ، وهو عَلَيْهِمْ)، (يَتْلونَ كِتابَ اللَّهِ رَطْبًا، لا يُجاوِزُ حَناجِرَهُمْ)، (يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لا يُجاوِزُ تَراقِيَهُمْ). فتراهم مع كثر قراءة القرآن وحفظه، لا يعقلونه التعقّل المطلوب.

---

(١) الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى وإلى عاد أخاهم هودا..(٢٠٠/٤)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب التحريض على قتال الخوارج (٧٤٠/٢ ــــــ ٧٥٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب التحريض على قتال الخوارج (٧٤٨/٢).

قال النووي:"معناه: أن قوماً ليس حظهم من القرآن إلا مروره على اللسان، فلا يجاوز تراقيهم ليصل إلى قلوبهم، وليس ذلك هو المطلوب، بل المطلوب تعقّله، وتدبّره، بوقوعه في القلب"[1].

وقال ابن حجر: "كَانَ يُقَالُ لَهُمُ الْقُرَّاءُ لِشِدَّةِ اجْتِهَادِهِمْ فِي التِّلَاوَةِ وَالْعِبَادَةِ إِلَّا أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَأَوَّلُونَ الْقُرْآنَ عَلَى غَيْرِ الْمُرَادِ مِنْهُ، وَيَسْتَبِدُّونَ بِرَأْيِهِمْ، وَيَتَنَطَّعُونَ فِي الزُّهْدِ وَالْخُشُوعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ"[2].

وهذا من أعظم أوصافهم سوءًا، وهو أنهم لا يفهمون القرآن ولا يدركون مقاصده ولا يتدبرونه تدبر من يطلب هدايته، وهو سبب انحرافهم الأكبر فإنهم قرؤوا القرآن بلا فهم واغتروا بجهلهم وأعرضوا عن العلماء، فضلوا وأضلوا.

ولما كان حال الخوارج أنهم حدثاء أسنان، وسفهاء أحلام، لا يرفعون بأحدٍ رأسًا، فلا يأخذون بقول عالم ولا يعتبرون بمرجعية، كان استدلالهم مدفوعًا بأهواء أنفسهم، فهم يقرؤون القرآن إلا أنهم لا ينتفعون به، وهذا دليل على عدم توفيقهم وقلة فقههم وهذه الصفة الذميمة من صفات الخوارج سَنَّها لهم مُقَدَّمَهم ذو الخويصرة بمعارضته الشرع بالرأي، ثم ما لبثوا أن ردوا على الصحابة ﷺ عِلمَهم واعتَدُّوا بأهوائهم وتصورات عقولهم القاصرة، حتى شهد التاريخ على جمعهم بالجهالة والضلال فلا يعرف فيهم عالم، ولا كتاب يرجعون إليه، بل حرموا التقليد وأمروا بالاجتهاد غير المنضبط، والوصف النبوي لهم في الحديث المتقدم يعرفنا بالخلل في طريقة فهم هؤلاء للقرآن، فهم جهلة وأهل هوى في فهمهم لا يفرقون بين ما نزل في الكفار وبين ما نزل في المسلمين، ولا يحملون نصاً مطلقًا على مقيد، ولا عاما على خاص، ويتمسكون بظاهر الآية ولا ينظرون إلى ما يبين معناها من القرآن والسنة، فهم في الغالب يتعاملون مع القرآن بجهل ممزوج بغرور يدفع الغلاة المتعصبين منهم ــ وهم أكثرهم ــ إلى رد أي توجيه أو إرشاد لهم، الأمر الذي جعلهم في معزل عن الانتفاع بأي نقد يوجه إليهم، يصلحون به طريقهم. فقد ناظرهم علي وابن عباس ﷺ واستمرت المحاورات والمناظرات معهم على مرِّ العصور إلا أن طبيعة تفكيرهم تأبى أن تقبل نقداً أو نقضاً لما هم عليه من أباطيل.

إن جهلهم بمعاني القرآن، وسوء فهمهم له، وقلة الفقه في الدين هو سبب تكفيرهم لأصحاب الكبائر من المسلمين، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "... وبدعة الخوارج

(١) شرح النووي لصحيح مسلم (١٠٥/٦).

(٢) فتح الباري (٢٨٣/١٢).

إنما هي من سوء فهمهم للقرآن، لم يقصدوا معارضته، لكن فهموا منه ما لم يدل عليه؛ فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب " [١].

وكان من جهلهم بالقرآن، وبطرق الاستدلال به؛ أنهم حملوا الآيات التي نزلت في الكفار؛ على المسلمين، كما قال ابن عمر رضي الله عنه، يَصِفُهُم:"إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار، فجعلوها في المؤمنين "[٢].

ومن جهلهم بأصول الشريعة ومقاصدها، اعتراض أوّلهم على الرسول ﷺ، لمّا قسّم الغنائم، وقوله للنبي ﷺ: اعدل يا محمد!!، فقال له الرسول ﷺ:" ويلك! ومن يعدل إذا لم أعدل"[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهم قوم لهم عبادة، وورع، وزهد، لكن بغير علم؛ فاقتضى ذلك عندهم: أن العطاء لا يكون إلا لذوي الحاجات، وأن إعطاء السادة المطاعين الأغنياء، لا يصح لغير الله بزعمهم، وهذا من جهلهم؛ فإن العطاء إنما هو بحسب مصلحة دين الله، فكلما كان لله أطوع، ولدين الله أنفع؛ كان العطاء فيه أولى، وعطاء محتاجٌ إليه في إقامة الدين، وقمع أعدائه وإظهاره وإعلائه، أعظم مِن إعطاء مَن لا يكون كذلك، وإن كان الثاني أحوج"[٤].

ومن هذا الباب ما ذكره الحافظ ابن حجر، أن أول كلمة خرجوا بها، قولهم:"لا حكم إلا لله"، حيث انتزعوها من القرآن، وحملوها على غير محملها"[٥].

وفي وقائع المناظرات التي جرتْ بينهم وبين علي رضي الله عنه وابن عباس، في قضية التحكيم؛ ما يكشف عن جهلهم بمعاني القرآن، وبطرائق الاستدلال به، وإصابة الحق فيه.

وقد شَهِد أهل العلم على غفلتهم وعدم فهمهم فقد جاء عن أبي مسلم الخولاني أنه قال للوفد الذين قدموا من قتل عثمان:" أما مررتم ببلاد ثمود؟ قالوا: نعم. قال: أشهد أنكم مثلهم، لَخليفة الله أكرم عليه من ناقته"[٦].

قال ابن عبدالبر:" كان خروجهم فيما زعموا تغيير للمنكر ورد الباطل فكان ما جاؤوا به أعظم المنكر وأشد الباطل...وكان للقوم صلاة بالليل والنهار وصيام يَحتقر الناس أعمالهم عندها، وكانوا يتلون القرآن آناء الليل والنهار ولم يكن يتجاوز حناجرهم

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/٣٠).

(٢) علقه البخاري في صحيحه، كتاب استتابة المرتدين، وأشار ابن حجر في الفتح (١٢/٢٨٦) إلى أن الطبري وصله في كتابه تهذيب الآثار بسند جيد.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) مجموع الفتاوى (٢٨/٥٨٠ ــــ ٥٨١).

(٥) انظر: فتح الباري (٦/٦١٩).

(٦) البداية والنهاية: (٧/٢١٨).

ولا تراقيهم؛ لأنهم كانوا يتأولونه بغير علم بالسنة المبينة، فكانوا قد حُرِموا فهمه والأجر على تلاوته، فهذا والله أعلم معنى قوله:"لا يجاوز حناجرهم"، يقول: لا ينتفعون بقراءته كما لا ينتفع الآكل والشارب من المأكول والمشروب بما لا يجاوز حنجرته"[1].

وقال الحافظ ابن كثير ــ رحمه الله ــ في تعليقه على بعض شناعات الخوارج، وتعجبه من أفعالهم، وأن فيها شهادة عليهم بالجهل وسوء الفهم، والشقاء والضلال:"وهذا الضرب من الناس، من أغرب أشكال بني آدم! فسبحان من نوّع خَلْقه كما أراد، وسبق في قدَره ذلك، وما أحسن ما قال بعض السلف في الخوارج: إنهم المذكورون في قوله تعالى:(قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً)(الكهف: ١٠٣-١٠٥).

والمقصود أن هؤلاء الجهلة، الضُّلال، والأشقياء في الأقوال والأفعال؛ اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين...يعتقدون بجهلهم، وقلّة علمهم وعقلهم: أن هذا الأمر يُرضي رب الأرض والسماوات، ولم يعلموا أنه من أكبر الكبائر، والذنوب الموبقات، والعظائم، والخطيئات، وأنه ممّا يزيّنه لهم إبليس، وأنفسهم التي هي بالسوء أمّارات"[2].

وهذه الآفات والعلل التي استحكمت في الخوارج الأوليين، هي بعينها داء الآخرين؛ انتقلت عدواها إليهم، عبر القرون، كلما قُطع منهم قرْنٌ؛ برز آخر.

الصفة الثانية: يقتلون أهل الإسلام ويَدَعُون أهل الأوثان.

وهذه الصفة مأخوذة من قول النبي ﷺ في وصفهم:" يقتلون أهل الإسلام ويَدَعُون أهل الأوثان"[3]. وهذه علامة من علامات نبوته، وأمارة من أمارات صدقه ﷺ، فلم يعرف عن الخوارج أنهم رفعوا السيف في وجه أهل الأوثان ابتداء أو كان هذا من همتهم ومقصدهم الأساس، بل عُرفوا بالشفقة على أهل الذمة من الكفار دون المسلمين إلى درجة أنهم كانوا إذا وجدوا غير مسلم يتواصون به خيرًا كما حدث في أثناء خروجهم إلى النهروان فقد لقوا مسلمًا ونصرانيًا فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصراني خيرًا، وقالوا: احفظوا ذمة نبيكم [4].

---

(١) التمهيد: (٣٢٣/٢٣).

(٢) البداية والنهاية (٣٣٤/١).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) العقد الفريد (٢٣٤/٢)

وفي السنة لعبد الله بن أحمد عن عون بن عبد الله، قال:"بعثني عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى الخوارج أكلمهم، فقلت لهم: هل تدرون ما علامتكم في وليكم التي إذا لقيكم بها أمِن بها عندكم وكان بها وليكم، وما علامتكم في عدوكم التي إذا لقيكم بها خاف بها عندكم وكان بها عدوكم؟ قالوا: ما ندري ما تقول. قلت: فإن علامتكم عند وليكم التي إذا لقيكم بها أمِن بها عندكم وكان بها وليكم أن يقول: أنا نصراني! أو يهودي! أو مجوسي! وعلامتكم عند عدوكم التي إذا لقيكم بها خاف بها عندكم وكان بها عدوكم أن يقول: أنا مسلم! "[١].

وشواهد التاريخ والواقع مليئة بالصور والنماذج لتعاملاتهم المشينة والمتناقضة في هذا الباب.[٢]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:"ومن أعظم ما ذم به النبي ﷺ الخوارج قوله فيهم:"يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان"[٣]. وقال القرطبي: "وذلك أنهم لما حكموا بكفر من خرجوا عليه من المسلمين، استباحوا دماءهم، وتركوا أهل الذمة"[٤]. وقال الحافظ ابن حجر: "وكفوا عن أموال أهل الذمة، وعن التعرض لهم مطلقاً وفتكوا فيمن ينسب إلى الإسلام بالقتل والسبي والنهب" [٥].

وهذا من أشنع ما عُرف عنهم، واشتُهروا به قديمًا وحديثًا، وهو ما كابده أهل الإسلام منهم قديماً، ويكابدونه اليوم؛ من تعجلهم في الفتك وولعهم بإراقة دماء المسلمين المعصومين، وقصدهم المسلمين بأعمال القتل، واستهداف ديارهم؛ لكونهم مرتدين –بزعمهم–، وأرضهم أرض كفر، ودُورهم دُور حرب.

ويبين هذا المعنى شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله عن الخوارج:"..أنهم يكفّرون بالذنب والسيئات، ويترتب على تكفيرهم بالذنوب؛ استحلال دماء المسلمين وأموالهم، وأن دار الإسلام دار كفر، ودارهم دار إيمان"[٦].

ولذلك لما أراد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قتال أهل الشام، أشار عليه الناس أن يبدأ بقتال الخوارج، فإذا انتهى من قتالهم، تفرغ بعدها لقتال أهل الشام. وقد كان هذا رأياً صائباً؛ لما ظهر من أمر الخوارج من الفساد العظيم الذي

---

(١) السنة لعبد الله بن أحمد (٦٣٠/٢).
(٢) انظر نماذج وشواهد على هذه البلية في: تاريخ الطبري (١١٧/٥) الكامل للمبرد (١٠٦/٢) العقد الفريد (٣٩١/٢، ٤٦٤) الكامل لابن الأثير (٣٤٢/٣)
(٣) مجموع الفتاوى (٥٢٨/٢٨).
(٤) المفهم للقرطبي (١١٤/٣).
(٥) فتح الباري لابن حجر (٢٨٥/١٢).
(٦) مجموع الفتاوى (٧٣/١٩).

أحدثوه. قال الحافظ ابن كثير:"فاجتمع الرأي على هذا، وفيه خيرة عظيمة لهم، ولأهل الشام أيضاً؛ إذ لو قووا هؤلاء؛ لأفسدوا الأرض كلّها: عراقاً، وشاماً، ولم يتركوا طفلاً، ولا طفلة، ولا رجلاً، ولا امرأة؛ لأن الناس عندهم قد فسدوا فساداً لا يصلحهم إلاّ القتل جملةً " (١).

الصفة الثالثة: يحسنون القول ويسيئون العمل "يقولون من خير قول البرية".

وهذا وصف نبوي يصف به النبي ﷺ الخوارج بقوله:"يقولون من خير قول البرية"(٢)، وفي رواية:"يتكلمون بالحق"(٣). وفي حديث أبي زيد الأنصاري: "يدعون إلى كتاب الله"(٤).

قال الحافظ ابن حجر قوله: "يقولون من خير قول البرية يعني: القرآن ويحتمل أنه مع القرآن قول آخر حسن، كقولهم (لا حكم إلا لله) ونحو ذلك"(٥)، وقال النووي:"معناه في ظاهر الأمر كقولهم "لا حكم إلا لله" ونظائره من دعائهم إلى الله تعالى، والله أعلم"(٦). فهم يتشدقون برفع الظلم ومحاربة الظلمة إلا أنهم في حقيقة الأمر أشد فتكًا وظلمًا للمسلمين من غيرهم من المتسلطين، فمن قَتَلَ وسَلَّ السيف على المسلمين واستباح منهم ما يستباح من الكافر الحربي هو أشد طغياناً وأشد ظلمًا ممن جار في حكمه ومسَّ ظلمه أفرادًا من الرعية، في حين أن ظلم الخوارج قد شمل غالبية مخالفيهم، فما أبعد حسن كلامهم من سوء فعالهم.

ولما كان التناقض من صفاتهم الذميمة وما أكثرها كان من تناقضهم البين أنهم يحسنون القيل ويسيئون الفعل كما قال ﷺ فيهم أنهم: "يحسنون القول ويسيئون العمل"(٧)، وفي رواية:"قوم يحسنون القيل، ويسيئون الفعل"(٨)، وفي رواية: يسيئون الأعمال "(٩).

وهذا الحديث برواياته يدل على أن أفعال الخوارج تناقض أقوالهم، فهم يزينون القول ويسيئون الفعل قال الحافظ ابن حجر:" أنهم يؤمنون بالنطق لا بالقلب" (١٠).

---

(١) البداية والنهاية (٣١٨/٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة (٣٠٠/٤) من حديث علي رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد في المسند في فضائل الصحابة ح (٨٤٨) (١٥٤/٢) وابنه في كتاب السنة (٦٢٩/٢). وإسناده صحيح. انظر: حاشية مسند الإمام أحمد (١٥٤/٢).

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٤٤٥) والطبراني في الكبير (٢٩/١٧) وقال الألباني في ظلال الجنة (٩٤١) إسناده صحيح.

(٥) فتح الباري (٢٨٧/١٢).

(٦) شرح مسلم للنووي (١٦٦/٧).

(٧) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٣٣٣٨) أبو داود في سننه (٤٧٦٥) من حديث أنس وإسناده صحيح، وجوّد إسناده الحافظ في الفتح (٢٨٦/١٢).

(٨) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٣٣٣٨) عن أنس وإسناده صحيح، وصححه الألباني في المشكاة (٤٥٤٣) وصحيح الجامع (٣٦٦٨).

(٩) أخرجه أحمد في مسنده (٥٥٦٢) من حديث ابن عمر وإسناده ضعيف.

(١٠) فتح الباري لابن حجر (٢٨٨/١٢).

فكلامهم حسن جميل، لا ينازع أحد في حلاوته وبلاغته!!، فهم أصحاب منطق وجدل، يدعون لتحكيم الشريعة وأن يكون الحكم لله، ولكن فعالهم على خلاف ذلك! حتى نشأ من دعاويهم المتناقضة من الشر والفساد أضعاف ما زعموا عند خصومهم.

قال السندي في حاشيته على سنن النسائي: "أَي يَتَكَلَّمُونَ بِبَعْض الْأَقْوَال الَّتِي هِيَ من خِيَار أَقْوَال النَّاس قال النووي أي فِي الظَّاهِر، مثل: إن الحكم إلا لله، ونظائره، كدعائهم إِلَى كتاب الله"[١].

وقد اجتمع رؤوس الخوارج في عهد علي بن أبي طالب، وتعاهدوا على حكم القرآن، وطلب الحق وإنكار الظلم، وجهاد الظالمين وعدم الركون إلى الدنيا، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قاموا إلى قتال الصحابة ﷺ وفتكوا بهم وبالمؤمنين واستباحوا ديارهم ودمائهم وأموالهم، قال شيخ الإسلام: "ولهذا يحتاج المتورع إلى علم كثير بالكتاب والسنة والفقه في الدين، وإلا فقد يفسد تورعه الفاسد أكثر مما يصلحه كما فعله الكفار وأهل البدع من الخوارج والروافض وغيرهم" [٢].

الصفة الرابعة: العصبية القبلية وفتنة المال وحب الرئاسة.

عامل العصبيَّة القبليَّة مع الجهل والعدوان يُعتبر من عوامل ظهور الخوارج، وقد أشار الكثيرُ من علماء التَّاريخ إلى أن غالبية الخوارج كانوا من أعراب القبائل، وقد كانت لهذه القبائل شأن وخطر في الجاهليَّة. [٣]

وكانت بين بعض هذه القبائل إحن عصبية وثارات قبلية، وكانت لهم عوائد جاهلية سببها المنافسات على المضارب والمغانم، وقد توارى شيء من هذه العوائد والثارات لديهم بعد ظهور الإسلام، لكنها ما لبثت أن عادت في صور من صور التديُّن الغالي، وألبست ثوب زور باسم الدين.

وبالإضافة لعامل العصبيَّة القبليَّة الجاهليَّة وبداوة الأعْراب الجليَّة في تصرُّفاتهم، هنالك عامل خفي كان مؤثرًا في خروج الخوارج وطلوع قرنهم؛ وهو على خلاف ما كان من ظاهر أحوال غالبيتهم وهو الطمع في المال وحب التسلط والرئاسة، وقد أشار إلى هذا المعنى الإمام أبو عوانة يعقوب بن إسحاق النيسابوري:"أنَّ أوَّل خروجهم للأثرة

(١) سنن النسائي بحاشية السندي (١١٩/٧).
(٢) مجموع الفتاوى (١٤٢/٢٠).
(٣) انظر: فجر الإسلام (٢٦٢).

في القسمة؛ وذلك لما عارض رأسُهم النبيَّ - ﷺ - في قسمة الفيْء وزعم أنه ما أريد بها وجه الله"[1].

وقد يستغرب كون التعلق بالدنيا كان سببًا في نشأة الخوارج الذين اشتهر عنهم كثرة العبادة والتنطع في الزهد والخشوع، ولكن المتتبع لتاريخ نشأتهم يدرك كيف كان هذا السبب عاملًا مهمًا في ظهورهم.

فكما ورد في موقف كبيرهم ذي الخويصرة من قسم رَسُول اللَّهِ - ﷺ - للأموال واتهامه له في عدله وهذا يدل على تعلقه بالمال، وتطلعه إلى أن يأخذ مثل غيره، وظهر هذا الأمر بشكل واضح في الخوارج الذين شغبوا على عثمان - رضي الله عنه - حيث كان مما اعترضوا به عليه أمر الولايات وإيثار بعض الناس ببعض الأموال أكثر من بعض، واتَّهموه بأنَّه قسم الأموال بين أقاربه. ولما هجموا عليه -رضي الله عنه- في داره وقتلوه ونهبوا ما في البيت تنادوا "أن أدركوا بيت المال لا تسبقوا إليه" فسمعهم حفظة بيت المال، فقالوا: يا قوم النجاء النجاء! فإن هؤلاء القوم لم يصدقوا فيما قالوا من أن قصدهم قيام الحق والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وغير ذلك مما ادعوا أنهم إنما قاموا لأجله، وكذبوا إنما قصدهم الدنيا، فانهزموا وجاء الخوارج فأخذوا مال بيت المال وكان فيه شيء كثير جدًّا [2].

كما أن مما نقموا به على علي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- لما خرجوا عليه أنه لم يقسم الأموال والسبي في وقعة الجمل [3]، وممَّا كتب معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - إلى عثمان بن عفَّان يصف الخوارج: "إنَّما همُّهم الفتنة وأموال أهل الذمة" [4].

الصفة الخامسة: تجويزهم على النبي ﷺ ما لا يجوز في حقه (كالجور).

وهذا بعينه ما تفوه به ذو الخويصرة أصلهم ومقدمهم في الضلال الذي قال للنبي ﷺ"اعدِل يا محمَّدُ فإنَّكَ لم تعدِلْ"[5]، يريد قسمته ﷺ لبعض الغنائم.

وفي هذا المعنى يقول ابن تيمية ــ رحمه الله ــ: "والخوارج جوزوا على الرسول ﷺ نفسه أن يجور ويضل في سُنته، ولم يُوجِبوا طاعته ومتابعته، وإنما صدّقوه فيما بلَّغه من القرآن، دون ما شرعه من السُّنة، التي تخالف -بزعمهم- ظاهر القرآن، وغالب أهل البدع والخوارج يتابعونهم في الحقيقة على هذا، فإنهم يرون أن الرسول لو قال بخلاف

(١) انظر: فتح الباري (٣٠١/١٢).
(٢) انظر: تاريخ الطبري (٣٩١/٤)
(٣) الفرق بين الفرق (٧٨).
(٤) الكامل، ابن الأثير (٥١٤/٢).
(٥) سبق تخريجه

مقالتهم لما اتبعوه. وإنما يدفعون عن نفوسهم الحجة، إما برد النقل، وإما بتأويل المنقول، فيطعنون تارةً في الإسناد، وتارةً في المتن، وإلا فهم ليسوا متبعين ولا مُؤْتَمِّينَ بحقيقة السُّنة التي جاء بها الرسول ﷺ، بل ولا بحقيقة القرآن"[1].

الصفة السادسة: يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

قال في مختار الصحاح: " مرق السهم من الرمية خرج من الجانب الآخر..ومنه سميت الخوارج مارقة لقوله في الحديث:" يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية"[2].

وقال ابن الأثير:"..وفي حديث الخوارج يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية يريد أن دخولهم في الإسلام ثم خروجهم منهم لم يتمسكوا منه بشيء كالسهم الذي دخل في الرمية ثم نفذ فيها وخرج منها ولم يعلق به منها شيء، والرميَّة: الصيد، أو كل دابة ترمى"[3]، والمعنى: أنهم يدخلون في الإسلام ثم يخرجون منه بلا علائق، ولذا جاء فيه الحديث:"سبق الفرث والدم"، أي: مر سريعًا في الرمية وخرج منها لم يعلق منها بشيء من فرثها ودمها لسرعته شبه به خروجهم من الدين ولم يعلقوا بشيء منه[4].

من صفات الخوارج الذميمة أن فيهم رهقاً وعجلة في أحكامهم ومواقفهم تجعلهم في أمر مريج حتى إنهم يخرجون من الدين سريعًا كما يخرج السهم من الرمية كما وصفهم النبي ﷺ بقوله: "يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية"[5].

وفي رواية:"يمرقون من الإسلام"[6]، والمراد بالدين هو الإسلام، كما في الرواية الثانية وهو حجة لمن يكفر الخوارج، وقيل: المراد بالدين: الطاعة فلا يكون فيه حجة وإليه جنح الخطابي[7]، وقيل: يخرجون من الإسلام الكامل، قال الحافظ بن حجر:"والذي يظهر أن المراد بالدين الإسلام، كما فسرته الرواية الأخرى، وخرج الكلام مخرج الزجر، وأنهم بفعلهم ذلك يخرجون من الإسلام"[8].

---

(١) مجموع الفتاوى (٧٣/١٩).
(٢) مختار الصحاح (٢٩٣/١).
(٣) النهاية في غريب الحديث (١٤٩/٢).
(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث (٣٣٨/٢).
(٥) أخرجه البخاري (٣٦١١) ومسلم (٢٤٦٢).
(٦) انظر المصدرين السابقين.
(٧) انظر: شرح مسلم للنووي (١٦٦/٧).
(٨) فتح الباري لابن حجر (٦٩/٨).

الصفة السابعة: يخرجون على حين فرقة من الناس.

قوله ﷺ: (يخرجون على حين فرقة من الناس)، قال الإمام النووي رحمه الله في بيانه لمعاني هذا الحديث:" ضبط في الصحيح بوجهين: أحدهما: "حين فرقة" حين: بحاء مهملة مكسورة ونون، وفُرقة: بضم الفاء أي في وقت افتراق الناس، أي افتراق يقع بين المسلمين، والثاني:"خير فرقة" خير: بخاء مفتوحة وراء، وفرقة: بكسر الفاء أي الفرقتين، والأول أشهر وأكثر، ويؤيده الرواية التي فيها:"يخرجون في فرقة من الناس" فإنه بضم الفاء بلا خلاف، ومعناه ظاهر، وقال القاضي: على رواية الخاء المعجمة المراد وخير القرون، وهم الصدر الأول. قال: أو يكون المراد عليًا وأصحابه، فعليه كان خروجهم حقيقة؛لأنه كان الإمام حينئذ".(١)

فمن صفات الخوارج المشهودة والمعهودة أن مبتدأ ظهورهم يكون في الغالب والمسلمين في فرقة واختلاف وتنازع، وهكذا يكون أمرهم إلى يوم القيامة ينشطون في الفتنة ويكونون هم وقودها ومثيروها، قال ﷺ: "يخرجون في آخر الزمان عند اختلاف في الناس"(٢)، وفي رواية: "يكون في أمتي اختلاف وفرقة"(٣)، وفي رواية: "يخرجون على فرقة مختلفة" (٤)، وغيرها من الروايات.

وهذه الفرقة والاختلاف هي ما وقع بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم(٥)، وفي رواية عند مسلم قال ﷺ: "تكون في أمتي فرقتان فتخرج من بينهما مارقة يلي قتلهم أولاهم بالحق"(٦)، وهذا الذي أخبر به النبي ﷺ هو ما وقع بالفعل من حالهم ومئالهم، وقد تكررت مشاهد خروجهم وفيما بعد عبر التاريخ وكلها كانت في حال خصومة وفتنة وتنازع بين المؤمنين ويكونون هم فيها إلبا على أهل الحق وسيفا مصلتا في وجوههم.

الصفة الثامنة: يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم.

مما وصف به النبي ﷺ الخوارج قوله:"يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم"(٧)، هذا الوصف من رسول الله يدل على شدة عبادتهم وتبتلهم ومغالاتهم

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج (١٦٦/٣).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٩٢٣) وأبو يعلى (٤٧٣) وجود الألباني إسناده في ظلال الجنة (٤٧٤/٢).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١٣٣٣٨) وأبو داود (٤٧٦٥) والحاكم في المستدرك (١٦٠/٢) وصححه الألباني في المشكاة (٤٧٦٥) (٣٥٤٣) وصحيح الجامع حديث (٣٦٦٨).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزكاة، باب التحريض على قتال الخوارج (٧٤٦/٢).

(٥) شرح مسلم للقاضي عياض (٦٦٥/٣) والبداية والنهاية (٣٠٥/٧).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة باب (ذكر الخوارج وصفاتهم) رقم (١٥١) – (١٠٦٧) (٧٤٦/٢).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب استتابة المرتدين (٦٩٣٣).

فيها فكان الغلو والتشدد في أمورهم ظاهر سواء أكان في عباداتهم أم في معاملاتهم، ولا شك أن الخوارج كانوا في عمومهم أصدق وأعبد أهل الأهواء(١)، لكن كان الورع الذي اكتسوا به في غالبه ورعٌ متكلف وعلى غير السنة، ومن هذا الباب قول ابن عمر ـــ ﵄ ـــ لأحدهم من أهل العراق وقد سأله في الحج عن حكم دم البعوضة:" أتقتلون الحسين وتسألون عن دم البعوضة؟!"(٢).

وقد أشار النبي ﷺ إلى شدة اجتهاد الخوارج في عباداتهم، وأعمالهم الظاهرة وكيف أن ذلك لم يكن مانعًا لهم من الضلال والمروق من الدين بقوله أيضًا في وصفهم يخاطب أصحابه:"يقرءون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ"(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" ولا ريب أن الخوارج كان فيهم من الاجتهاد في العبادة والورع، ما لم يكن في الصحابة، كما ذكره النبي ﷺ، لكن لما كان على غير الوجه المشروع، أفضى بهم إلى المروق من الدين"(٤).

وعند التأمل في هذه الأعمال التي تضافرت الأدلة باجتهادهم عليها من الصلاة والصيام وقراءة القرآن نجد أنها في غالبها أعمال ذاتية بدنية غير متعدية، بمعنى أن نفعها لصاحبها دون غيره في الغالب، أما الأعمال التي يتعدى نفعها للمسلمين كحسن الخلق والإحسان إلى الخلق والرفق والصدقة والقيام على الضعفة من اليتامى والأرامل والفقراء والمساكين فهم خلو منها أو يكادون، بل أحوالهم وأخلاقهم على العكس منها.

فلم يرد في أوصافهم إلا الغلظة على المسلمين وإرادتهم العنت والشدة لهم حكامًا ومحكومين وما خيروا من الأمور مما هو من مصالح المسلمين وفيه قوتهم واجتماع كلمتهم إلا اختاروا ما فيه شدة ومشقة عليهم أو يفرق جمعهم ويشق صفهم ويغري بالعداوة والبغضاء بينهم.

إن حديث الخوارج هذا لهو علم من أعلام نبوته ﷺ حيث جاءت أحوال هؤلاء القوم كما بين في هذا الحديث وغيره من أحاديثه ﷺ، وقد أخبر ابن عباس ﵄ عما شاهده من أحوال الخوارج حينما ذهب ليستجلي خبرهم وما ينقمونه على أمير المؤمنين

(١) انظر: منهاج السنة لابن تيمية (١٥٧/٥).

(٢) أخرجه البخاري أصل القصة في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله رقم (٥٩٩٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة حديث (١٠٦٦).

(٤) الاستقامة (٢٥٨/١-٢٥٩).

علي ﷺوما وجد عليه القوم من الاجتهاد في العبادة والجلد والنصب فيما تكلفوه منها، فكان مما قال بعد رجوعه من مناظرتهم:".... فأتيتهم فدخلت على قوم لم أر أشد اجتهادًا منهم، أيديهم كأنها ثفن الإبل، ووجوههم معلمة من آثار السجود"[١].

يقول الإمام الآجري –رحمه الله تعالى–: "فلا ينبغي لمن رأى اجتهاد خارجي قد خرج على الإمام عدل كان أو جائر فخرج وجمع جماعة وسل سيفه واستحل قتال المسلمين، فلا ينبغي أن يغتر بقراءته للقرآن ولا بطول قيامه في الصلاة ولا بدوام صيامه ولا بحسن ألفاظه في العلم إن كان مذهبه مذهب الخوارج" [٢].

ومن هنا فإنه ينبغي ألا يغتر مغتر باجتهاد من كان من أهل الأهواء على مذهب الخوارج أو غيره في العبادة والبذاذة وجلدهم فيما هم عليه، ما داموا جهّالاً أهل هوى لا يقبلون إلا ما أشربت أهوائهم؛ فإن عباداتهم الظاهرة لم تغن عنهم شيئاً، فإنهم لمّا تنطعوا، وركبوا أهواءهم، وفارقوا سبيل أهل العلم؛ ضلوا عن الطريق الحق، وسلكوا سبل الشيطان، واقترفوا ما اقترفوا من الأمور العظام، التي لا يقدم عليها من يؤمن بيوم الحساب ولذا كان علي ﷺيقول لما سئل عن قوله تعالى: (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً) (١٠٣: الكهف) قال لا أَظُنُّ إلا أنَّ الخوارجَ منهم[٣]، وكان سعد بن أبي وقاص ـــ ﷺ ـــ يرى أنهم (الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ)(٢٧: البقرة)، وكان يسميهم بالفاسقين [٤].

الصفة التاسعة: الانعزال والتكتم والسرية.

لما أزمع الخوارج على الخروج على أمير المؤمنين علي ﷺبعد اعتراضهم على حادثة التحكيم التي جرت بينه وبين معاوية ﷺبعد وقعة صفين، وكانوا هم من دفع علي ﷺوألجأوه للقبول بها كارهًا انحازوا إلى حروراء، وهو موضع قريب من الكوفة واعتزلوا فيها وفيها تعاهدوا على مفارقة جماعة المسلمين وإمامهم وجعلوا يحيكون المؤامرات ويدسون الدسائس ويكيدون للمسلمين ويعتدون على الحرمات ويقطعون السبيل.

وهكذا يعمد الخوارج السالفون والمعاصرون في سبيل إحكام التأثير على متبـــوعيهم إلى استعمال أسلوب الانفصال عن المجتمعات في معتـــزلات منفـــردة بـــأنواع العزلـــة

(١) مصنف عبد الرزاق (٢٥٠/٨)، والمعجم الكبير (٢٥٧/١٠)، الاستقامة لابن تيمية (٢٥٨/١-٢٥٩).

(٢) الشريعة: (٣٤٥/١).

(٣) انظر: فتح القدير، الشوكاني (٣٧٤/٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا (٩٣/٦)، وتفسير ابن كثير (٢٠١/٥) ت: محمد حسين شمس الدين.

المكانية، والقلبية والاجتماعية والفكرية، كما في حروراء، واليمامة، والبصرة، والأهواز، وعمان وزنجبار، وفي بلاد المغرب في جبل نفوسة وتاهرت ووادي ميزاب وجزيرة جربة وأخيرًا في سجون ومعتقلات بعض الدول العربية والإسلامية في مصر والجزائر والأردن والعراق وسوريا، واليمن، وأفغانستان، وباكستان.

وهذه المعتزلات ــ في الغالب ــ تحيطها السرية والتكتم والحذر، وذلك لمقصد تهيئة عقول المنتمين لها وإعادة تشكيل أفكارهم لما يراد لهم من مواقف وأدوار بعيدًا عن المؤثرات الخارجية وتزويدهم بشعور التفرد والتميز عن المجتمع الذي يؤدي بهم إلى منابذة المجتمع الظالم في زعمهم والخروج عليه مستدلين على ذلك ببعض نصوص القرآن من مثل قوله تعالى: (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً) (٧٥: النساء). والمسلك الغالي ــ في الغالب ــ يحمل في ثناياه الخفية حظوظاً للنفس وظهوراً على الآخرين، إذ طبيعة النفوس حب الرياسة، فتميل إلى التفرّد والتمايز عن عموم الخلائق، سواءً في المطاعم والمشارب والملابس والمراكب، أو الآراء والديانات والعبادات[١].

ومن أنواع العزل الخطيرة التي يحرص الخوارج على تطبيقها على المنتمين لهم من الأحداث والأغرار العزلة الشعورية التي تجعل من المبتلى بفكرهم يعيش عزلة تفصله عن بقية أفراد المجتمع الذين يعيش في وسطهم، حتى لو كانوا من أقرب الناس إليه، وتكمن خطورة فكرة المعتزلات بأنواعها وأشكالها ــ عند الخوارج ــ في كونها تستفرد بعقول أفرادها وتعيد تشكيل أفكارهم إلى درجة تمنعهم من رؤية الحق إلا من اتجاه واحد هو ما يأتيهم من قادة تلك المعتزلات ومنظريها. بحيث يصل الأفراد المنعزلين فكريًا أو اجتماعيًا من خلال التكثيف الفكري والسلوكي إلى اعتبار الآخرين ممن يخالفونهم من علماء وقادة وعامة كفارًا ومنحرفين وجهالاً وضالين، لأن الحق عند هؤلاء المضللين هو ما ينتحلون وما يقررون لا يتعداهم وهم من يملكون منحه أو منعه لمن شاءوا أو عمن شاءوا.

يقول الإمام ابن كثير ــ رحمه الله ــ في هذا المعنى وهو يصف الخوارج في زمانه ومن قبله:"إن هؤلاء الجهلة الضُّلال، والأشقياء في الأقوال والأفعال، اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين... فخرجوا من بين الآباء والأمهات، والأعمام والعمات، وفارقوا سائر القرابات، يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم، أن هذا الأمر

---

(١) انظر: الاعتصام للشاطبي ت: مشهور (٤٩/١، ٢١٥-٢١٧)، ودرء التعارض، ابن تيمية (٨٦/٨).

يُرضي رب الأرض والسماوات، ولم يعلموا أنه من أكبر الكبائر والذنوب والموبقات..."[1].

وهم جمعوا إلى مفارقة جماعة المسلمين؛ التّفرق فيما بينهم؛ فتراهم أشتاتاً لأدنى خلاف يدبّ فيهم، حتى ذكرت الكتب المصنفة في المقالات والنِّحل من فرقهم، ما يزيد على العشرين [2].

وفي واقعنا المعاصر نجد من جماعات التكفير والخروج تكريساً لنظريات أسلافهم الخوارج، في مواقفهم من أهل الإسلام، ومفارقتهم، وهجر ديارهم فهم يدعون إلى اعتزال المجتمع المسلم ولذلك هجروا المدارس؛ والمعاهد والجامعات والوظائف الحكومية والسكنى مع المسلمين، إلى حيث الأودية، والشِّعاب، والجبال، والكهوف، والتفافهم حول عصابات القتل، وزعامات التيه، والضغينة، والحقد، وتفرّقهم إلى رايات بدعية وعبيات جاهلية، يهرّون على بعضهم هرير الكلاب، وتسعى كل منها لعمليات تصفية واغتيال لقيادات وأفراد أخرى، مع اجتماعهم على قتال أهل الإسلام، وهتك أعراضهم، وسلب أموالهم. وهذا وصفٌ مطّرد لهؤلاء القتلة لا يكاد ينفك عنهم في كل زمان ومكان.

إن الناظر في الكتب والرسائل التي دونها الأفراد الذين فارقوا هذه الجماعات الباغية وعادوا إلى الحق والهدى أو التي نقلت شيئًا من مجريات التحقيقات مع المقبوض عليهم منهم، وما أدلوا به من اعترافات، يلحظ فيها: حرص قادتهم على ضرب طوق من العزلة العلمية والفكرية والمكانية على أتباعهم، وتحذيرهم من الإصغاء للعلماء أو غشيان مجالسهم أو التتلمذ عليهم، أو قراءة مؤلفاتهم، وبخاصة ما له ارتباط بكشف عوارهم وتعرية ضلالاتهم، وتشديدهم أشد التشديد، في إحكام سياج الحظر الفكري هذا على كل من يلتحق بهم وينتمي إليهم.

الصفة العاشرة: الغدر والبغي والظلم والتسرع في الأحكام والمواقف.

الخوارج لهم صفات سيئة كثيرة تدل على خبثهم وفساد معتقدهم من هذه الصفات: صفة الغدر والبغي بغير الحق واستحلال الفتك بمخالفيهم ظلمًا وعدوانًا. والغدر: هو الخيانة ونقض العهد وعدم الوفاء.

---

(١) البداية والنهاية (٣١٧/٧).

(٢) انظر: الفرق بين الفرق، ص (٧٤-١١٠)، ومقالات الإسلاميين (١٦٧/١-٢٠٢)، والملل والنِّحل (١١٥/١-١٣٧).

وهو من الصفات المذمومة التي ذمها الله ﷻ في كتابه قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ) (الحج: ٣٨)، وقال تعالى: (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ) (الأنفال: ٥٨)، وذمها رسوله عليه الصلاة والسلام، فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول:"لكل غادر لواء ينصب يوم القيامة بغدرته"[١]، وأجمع أهل العلم على حُرمة الغدر، لأن الغدر من صفات المنافقين[٢]، وهو كبيرة من كبائر الذنوب[٣]، ومن خبر حال الخوارج قديمًا وحديثًا عرف أنه لا يأمن جانبهم فإنهم أهل غدر وخيانة لا أهل وفاء وأمانة فكم من عهد نقضوه، وكم من دم حرام سفكوه فقد غدر أوائلهم في الفتنة بأمير المؤمنين عثمان ﷺثم ثنوا بعلي ﷺوقبله غدروا بالصحابي عبد الله بن الصحابي الجليل خباب بن الأرت وقتلوا جاريته وقتلوا العديد من أمراء المسلمين وقادتهم الأجلاء وتاريخهم المظلم ملئ بالغدر والخيانات والظلم وسفك الدماء والبغي والتعدي على الحرمات لاسيما حرمات المسلمين [٤].

إن الغلو الذي اتصف به الخوارج وغلب على سائر أحوالهم حرّك في نفوسهم شهوة البغي والعدوان، وكانت هذه المسارعة منهم إلى الظلم والبغي والعدوان مما يعجّل بنكبتهم وانقراضهم في كثير من حقب التاريخ، فإنهم كانوا هم من يبادر بالبغي والقتال، فقاتلهم أمير المؤمنين عليّ ﷺحينما خرجوا عليه وبغوا وبادروا بالقتل وقطع الطريق والتعدي على الأنفس المعصومة فقضى عليهم، وكانت للمهلّب بن أبي صفرة في عهد دولة بني أمية صولات وجولات ومعارك ضارية مع الخوارج خلال عشرين عاماً–، فكان يقول لبنيه وجنده:"لا تبدؤوهم بقتال حتى يبدؤوكم فيبغوا عليكم، فإنهم إذا بغوا نُصرتم عليهم"[٥]، ويبين هذا المعنى شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ بقوله:"..فإن الإنسان إذا اتبع العدل نصر على خصمه، وإذا خرج عنه طمع فيه خصمه.."[٦].

كما أن من صفات الخوارج الذميمة المؤدية للغدر والبغي والظلم والخيانة، التسرُّع في الأحكام والمواقف ممن يخالفهم بدوافع الهوى والانتقام بلا بينات، وافتقادهم فقه

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية والموادعة، باب إثم الغادر للبر والفاجر (١٠٤/٤).

(٢) انظر الحديث في صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق (١٦/١).

(٣) انظر: الكبائر، للذهبي (١٦٨).

(٤) انظر المصادر التالية: مسند الإمام أحمد، حديث رقم (٢١٠٦٥)، تاريخ الطبري (١١٧/٥) الكامل للمبرد (١٠٦/٢) العقد الفريد (٣٩١/٢، ٤٦٤) الكامل لابن الأثير (٣٤٢/٣)

(٥) الكامل في اللغة، المبرّد (٢٧١/٣).

(٦) درء تعارض العقل والنقل (٤٠٩/٨).

الأولويات في التعامل مع الوقائع والأحداث وتقدير خير الخيرين وطلبه ومعرفة شر الشرين ودفعه، وهذا بسبب قلة العلم والفقه مع ما اجتمع إليها من سفاهة العقول والتهوُّر الَّذي شاب غالب أحوالهم، فأصابَهم العمى عن الموازنة العادلة بين الأمور والمقاربة الراجحة في الاختيارات والاجتهاد في تمييز وجه الحق من الضلال فيها.

الصفة الحادية عشرة: كثرة الجدال واللَّدد في الخصومة المفضي إلى التفرق والتشرذم.

لما خرج الخوارج على عثمان ذكروا مقالات زور روجوها عنه وأشاعوها عنه وأكثروا من ترديدها حتى صدقوها وفتنوا الناس بها ثم لما خرجوا علي ﷺجعلوا يشيعون في الناس مقالات السوء فيه وفي أصحابه ويتهمونه بالضلال والكفر ويرفعون شعارات من مثل لا حكم إلا لله وهي شعارات تلبيس وفتنة يبطنون فيها خلاف ما يظهرون، وهكذا ناظرهم على مزاعمهم تلك أمير المؤمنين علي ﷺوابن عباس وغيرهما من الصحابة فجابهوا كل ذلك بالتعنت والإصرار على الباطل ورد الحق بلا بينة أو برهان.

إن كثرة المراء، والإسراف في الجدال بدافع الهوى والفتنة من الصفات الذميمة المتأصلة في الخوارج على امتداد تاريخهم وتعدد فرقهم، وقد كانت هذه العوائد الذميمة المتوارثة فيهم المتمثلة في رد الحق والإصرار على الباطل من أسباب ضلالهم وصرفهم عن الحق وقبوله وفهم الحجة، وإدراكها وإنزالها منازلها، وفي الحديث:"ما ضل قومٌ بعد هدى كانوا عليه، إلا أوتوا الجدل"(١).

إن الإعجاب بالرأي وعدم التسليم للحق لدى رؤوس الخوارج وغلاتهم أوقعهم في التعصب والخصومة والجدال وكثرة السؤال، كما أورثهم شقاقاً ونزاعاً وتفرقًا، فقد كان الخوارج من أكثر الطوائف انقساماً وتشرذماً، وأظهر تبرياً فيما بينهم من سائر الطوائف قال المبرد: "وكان في جملة الخوارج لددٌ واحتجاجٌ- على كثرة خطبائهم وشعرائهم-..."(٢).

وهكذا فالانقسام مظهر ملازم للخوارج في القديم والحديث، فمع أن القوم أوتوا شجاعة وبسالة وإقدام، إلا أن غلوّهم وكثرة جدالهم واختلافهم وتفرقهم إلى شيع وأحزاب ومسارعتهم إلى البغي والعدوان ونقض العهود قد أضعف رأيهم، ومحا أثرهم ــــ فالأزارقة أشد طوائف الخوارج غلواً ظهرت نحو السنة ٦٤هـ، وانقرضت في السنة

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤٩٣/٣٦)، والحاكم في المستدرك (٤٨٦/٢)، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٨٤/٢).
(٢) الكامل، المبرد (٨١/٣).

٧٧هـ [(١)]ـ والنفوس الغالية ومنها نفوس الخوارج ليست سويّة ولا مستقرة، فلا يفارقها التردد والاضطراب فهي تجمع بين النقيضين، وتقول بالرأيين المتضادين، وهذا ظاهر لمن نظر في مقالات الخوارج في كتب المقالات والفرق[(٢)].

وفي الخطاب الجافي والمعاملة الغليظة التي استعملوها في مناقشة علي بن أبي طالب وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، تصديقٌ لرسوخ تلك الصفة الذميمة فيهم وهي كثرة الجدال واللَّدد في الخصومة، بل إن أحد أئمتهم، وهو نافع بن الأزرق، كان يأتي ابن عباس فيسأله حتى أَمَلَّهُ؛ فجعل ابن عباس يُظْهِر الضّجر منه [(٣)].

ولا شك أن منشأ هذا – قديماً وحديثاً– لديهم هو من اتّباع الهوى، وقصور النظر، وتجرّدهم عن الحكمة، وغلبة السّفه والتّهور عليهم.

الصفة الثانية عشرة: الاعتداد بالرأي والتعالي والغرور والتمادي في الباطل.

من صفات الخوارج الذميمة الدالة على فساد النفوس وموت القلوب أنهم يسفهون أهل العلم ولا يرعون لهم حرمة ولا يعرفون لهم قدرًا، والناظر في مواقفهم وأحوالهم من سالف الزمن أنهم ما قدروا رسول الله ﷺ حق قدره ولا راعوا مكانته وما رأوا لأحد بعده مكانة ولا رعوا له حرمة لا عثمان ولا علي ولا ابن عباس، ولا أبا موسى رضي الله عنه وما رأوا الصحابة شيئاً أصلًا فكيف بمن بعدهم، وأدى بهم جهلهم وغرورهم أن زعموا أنهم أعلم من الصحابة، وهذه صفة ذميمة لازمة لهم منذ ظهور بدعتهم وهم يتوارثونها ويتخلقون بها خلفًا عن سلف.

ولذلك ترى في كلام غلاتهم حتى اليوم تسفيه للعلماء الكبار وأهل الفضل والمكانة من قادة المسلمين، فلا يأبهون بأحد ولا يقيمون له وزنًا، بل كلما علت مكانة العالم من علماء المسلمين وعظمة سابقته ازدادوا له عداوة ومنه نفرة، ولا يرقبون في مؤمن إلًّا ولا ذمة إلا ما أشربوه من الهوى والفتنة في مواقفهم وأحكامهم، يكفرون أجلة العلماء وأهل السابقة في الإسلام، ويسيئون فيهم القول جمعوا في مذهبهم الزور والفجور وسوء الأدب.

وقد يزعمون أنهم يوقرون فلاناً من العلماء فإذا انتقدهم أو أنكر شيئًا من فعالهم وخصالهم انقلبوا عليه وكفروه وأساءوا به الظن ووصفوه بأقبح الصفات وأفحش العبارات والدليل على غرورهم واغترارهم بأنفسهم أنك قد تجد أحد مقدميهم نكرة لا

---

(١) انظر: كتاب الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة (١٧٣-١٧٦).

(٢) انظر مثلاً كتاب مقالات الإسلاميين، للأشعري، الملل والنحل للشهرستاني، الفرق بين الفرق للبغدادي.

(٣) انظر: المصدر السابق (٩١/٣).

فضل له ولا سابقة، وقد لا يعرف بديهيات العلم الشرعي، ولا أبجدياتـــه، فيـــرد علـــى العلماء بلا فقه سديد، ولا رأي رشيد.

وأدى التعالم الظاهر على أغلبهم إلى تصدر حدثاء الأسنان فيهم، وسفهاء الأحلام منهم فيقدمونهم ويرجعون لأحكامهم في مسائل كبرى ونوازل مشكلة لا ينبغي أن يتولاها وينظر فيها إلا الجهابذة من العلماء، والولاة، وأهل السابقة، والتجربة. ولا شك أن جميع ما ذكر من هذه الصفات الذميمة فيهم كان يدفعهم إلى الغرور والتَّعالي على المسلمين، فقد زعموا أنهم وحدهم المجاهدون في سبيل الله، والعارفون لسنن الله في الجهاد؛ لذا فإنهم يُكثرون من التفاخر بما قدموه وما فعلوه!!

وعلى كل حال فالغلاة من أهل البدع ومنهم الخوارج يصاحبهم الغرور، ويلازمهم الإعجاب بأنفسهم، والاعتداد بآرائهم، كما وضّحه ابن الوزير رحمه الله بقوله:"الغالب على أهل البدع شدة العُجب بنفوسهم، وهي من عجائب العقوبات الربانية، وقد كثرت الآثار في أن إعجاب المرء بنفسه من المهلكات، ودليل العقوبة أنك ترى أهل الضلال أشد عُجباً وتهليكاً للناس، واستحقاراً لهم"[(١)]، هذا الغرور بالنفس واحتقار عموم الخلق جلب للغلاة ومنهم الخوارج فتنة احتكار الحق والوصاية على الآخرين، وحقوق الامتحان والتنقيب عما في الصدور، والاستعراض للمخالفين! وهو ما كان عليه سلف الخوارج ومن شابههم كما في موقفهم من امتحان عبد الله بن خباب بن الأرت ﷺا في الواقعة التي مرت قريبًا. قال ابن سيرين رحمه الله: "سؤال الرجل أخاه أمؤمن أنت؟ محنة بدعة كما يمتحن الخوارج"[(٢)]، وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزل (ت ٢٨١هـ):"الامتحان دين الخوارج" [(٣)].

وهذه البلية أوجبت لهم التعصّب لآرائهم الباطلة، وتمسّكهم بأهوائهم وضلالاتهم، وتتضح هذه السجيّة الفاسدة فيهم، لمن قرأ في سيرهم؛ حيث إنهم كانوا يقابلون ما يصلهم من أهل العلم والفضل من الصحابة وغيرهم، بالرفض والمراء، بل يسفهونهم، ويخونونهم، كما تجلّى هذا في قصة قتلهم لرسول علي بن أبي طالب رضي الله عنه، الحارث بن مُرة، وغيره من أهل الإسلام، ورفضهم تسليم قتلة عبدالله بن خباب ليُقتص منهم[(٤)]، مع أن قيس بن سعد بن عُبادة وعظهم، وكذلك وعظهم أبو أيوب الأنصاري،

---

(١) انظر بتصرف: إيثار الحق على الخلق (٣٨٥).

(٢) أصول السنة، للالكائي: (١٠٦٠/٥).

(٣) السير للذهبي: (١٨٩/١٣).

(٤) سبقت الإشارة لهذه الواقعة فيما تقدم.

وبعده وعظهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ووبّخهم، وخوّفهم بالله، لكن الخوارج من صلفهم وكبرهم، تنادوا بينهم: أن لا تخاطبوهم، ولا تكلموهم [١].

لقد كان من السمات البارزة لدى الخوارج على امتداد تاريخهم التعالي والغرور، وادعاء العلم في حين كان أغلبهم لا يعرف من العلم الشرعي إلا اسمه، وإذا علم أشتاتًا من العلم كانت بلا أصول ضابطة ولا قواعد حاكمة ولا فقه سديد ولا رأي رشيد، ويظن أنه بعلمه القليل وفهمه السقيم قد حاز علوم الأولين والآخرين، فيستقل بغروره علم العلماء، وهكذا كان الخوارج الأولون يدعون العلم والاجتهاد، ويتطاولون على العلماء وهم من أجهل الناس. بل كثير منهم يستنقص العلماء وطلاب العلم، ولا يعرف لهم قدرهم، وإذا رأى رأيًا أو فتوى على غير هواه ومذهبه، أو بخلاف موقفه أخذ يلمز قائله إما بالقصور، أوالتقصير، أو الجبن والمداهنة، أو بالسذاجة وقلة الوعي والإدراك، ونحو ذلك مما يحصل بإشاعته الفرقة والفساد العظيم، وغرس الغل على العلماء والحط من قدرهم ومن اعتبارهم، وغير ذلك مما يعود على المسلمين بالضرر البالغ في دينهم ودنياهم [٢].

إن آفة الإعجاب بالرأي والتعصب الظاهر لدى الخوارج هوت بهم إلى دركات خطيرة وأودية سحيقة منذ ظهورهم الأول وما زالت إلى اليوم، فذو الخويصرة أصلهم ومرجعهم قد أعجب برأيه واستعجل في أمره حتى ظن أنه هو الذي على الحق وأن رسول الهدى المؤيد بالوحي كان على ضلال وأي داء أدوأ من هذا الداء وأي فتنة هي أعظم من هذه الفتنة العمياء الصماء[٣]، والذي أودى بأصحابه وسلالته من بعده هو عين ما أودى به من قبل وهو غلبة الهوى والإعجاب بالرأي، وظن السوء فيمن عداهم.[٤]

لقد كانت آفة الخوارج المستحكمة فيهم أنهم رفعوا شعارات وفتنوا بعبارات وألفاظ لم يفقهوها، ولم يوردوها مواردها ولم يستمعوا لمن يجليها لهم، ويفهمهم إياها، فهم كانوا يرون الصواب فيما هم عليه وما عداه ليس له في الحق نصيب، يقول الشيخ محمد أبو زهرة:".. أولئك استولت عليهم ألفاظ الإيمان، ولا حكم إلا لله، والتبرؤ من الظالمين، وباسمها أباحوا دماء المسلمين وخضبوا البلاد الإسلامية بجميع الدماء وشنوا الغارة في كل مكان" [٥]. إن هذا التعصب المقيت قد صدهم عن الاستجابة للحق بعد وضوحه، فقد

---

(١) انظر: البداية والنهاية (١٠/٥٨٦-٥٨٧).

(٢) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٣) انظر: تلبيس إبليس (٩٠).

(٤) انظر: تلبيس إبليس (٩١).

(٥) تاريخ المذاهب الإسلامية، أبو زهرة (٥٧).

ناظرهم أمير المؤمنين علي ﷺ وناظرهم ابن عباس ﷺ وأزالا أعذارهم، ودحضا شبهاتهم، وأقاما عليهم الحجج البالغة، والبراهين الظاهرة، فلم يستجب منهم إلا القليل، وأبى أكثرهم إلا الإقامة على الضلال واستباحة دماء المسلمين وحرماتهم [(١)].

الصفة الثالثة عشرة: تكفير المخالفين، واستحلال دمائهم، وأموالهم، وأعراضهم.

التَّكفير بغير حق واستباحة دماء المخالفين هي من أظهر صفات الخوارج الفارقة وأشدها خطرًا وأثرًا، وقد جاء في الخبر عن النبي ﷺ أنهم: "يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ"[(٢)]، وهذا الوصف الذميم الخطير هو "مِنْ أَعْظَمِ مَا ذَمَّ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ الْخَوَارِجَ" [(٣)].

وكان من شنيع ما وقع فيه الخوارج واعتقدوه دينًا أنهم حكموا بكفر أهل الإسلام ابتداء بغير حق ولأمور لا تقتضي التكفير أصلًا ثم أتبعوا ذلك بما هو أفظع وأشنع وهو استحلال دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم بناء على هذا المذهب الباطل، قال القرطبي ـ رحمه الله ـ في بيان هذا المعنى:"وذلك أنهم لما حكموا بكفر مَن خرجوا عليه من المسلمين، استباحوا دماءهم وتركوا أهل الذمة"[(٤)]، وقال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ:"فهؤلاء أصل ضلالهم: اعتقادهم في أئمة الهدى وجماعة المسلمين أنهم خارجون عن العدل، وأنهم ضالون، وهذا مأخذ الخارجين عن السنة من الرافضة ونحوهم. ثم يعدون ما يرون أنه ظلم عندهم كفراً. ثم يرتبون على الكفر أحكاماً ابتدعوها. فهذه ثلاث مقامات للمارقين من الحرورية والرافضة ونحوهم. في كل مقام تركوا بعض أصول دين الإسلام، حتى مرقوا منه كما مرق السهم من الرمية "[(٥)]، وقال أيضًا: "وقتلوا علي بن أبي طالب مستحلين لِقَتْلِهِ قَتَلَهُ عبد الرحمن بن ملجم المرادي منهم، وكان هو وغيره من الخوارج مجتهدين في العبادة، لكنهم كانوا جهالاً فارقوا السنة والجماعة"[(٦)].

وقال: "فَإِنَّهُمْ يَسْتَحِلُّونَ دِمَاءَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ لِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّهُمْ مُرْتَدُّونَ أَكْثَرَ مِمَّا يَسْتَحِلُّونَ مِنْ دِمَاءِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ لَيْسُوا مُرْتَدِّينَ"[(٧)]، وقال أيضاً:"والخوارج هم أول من كفروا المسلمين يكفرون بالذنوب ويكفرون من خالفهم في بدعتهم ويستحلون دمه وماله، وَهَذِهِ

---

(١) ظاهرة الغلو في الدين (٥٠٥).

(٢) متفق عليه.

(٣) مجموع الفتاوى (٥٢٨/٢٨).

(٤) المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص كتاب مسلم، القرطبي (١١٤/٣).

(٥) مجموع الفتاوى (٤٩٧/٢٨).

(٦) مجموع الفتاوى (٤٨٢/٧).

(٧) مجموع الفتاوى ((٣٥٥/٢).

حَالُ أَهْلِ الْبِدَعِ يَبْتَدِعُونَ بِدْعَةً وَيُكَفِّرُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ فِيهَا"[1]. وقال الحافظ ابن حجر:"وكفوا عن أموال أهل الذمة، وعن التعرض لهم مطلقاً وفتكوا فيمن ينسب إلى الإسلام بالقتل والسبي والنهب"[2]، وتكفير المسلمين في الجملة مشترك بين طوائف الابتداع والغلو كما قال شيخ الإسلام: "وهذا نعت سائر الخارجين كالرافضة ونحوهم، فإنهم يستحلون دماء أهل القبلة باعتقادهم أنهم مرتدون أكثر مما يستحلون من دماء الكفار الذين ليسوا مرتدين. قالوا: لأن المرتد شر من غيره"[3].

والتكفير عند الخوارج له صور كثيرة: كتكفير مرتكب الكبيرة، أو التكفير بما ليس بذنب أصلاً، أو التكفير بالظن والشبهات والأمور المحتملة، أو بالأمور التي يسوغ فيها الخلاف والاجتهاد، أو دون التحقق من توفر الشروط وانتفاء الموانع، ولا يَعذرون بجهل ولا تأويل، ويكفرون بلازم الأقوال ومآلاتها، ويستحلون دماء من يكفرونهم دون قضاء ولا محاكمة ولا استتابة، ولهذا قال عنهم النبي ﷺ: "يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ" فشبه مروقهم من الدّين بِالسَّهْمِ الَّذِي يُصِيب الصَّيْد فَيدْخل فِيهِ وَيخرج مِنْهُ من شدَّة سرعَة خُرُوجه لقُوَّة الرَّامِي، لَا يعلق من جَسَد الصَّيْد بِشَيْء"[4].

وفي صحيح مسلم: (هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ)، وعند أحمد بسند جيد: (طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ)، قال ابن حجر:"وَفِيهِ أَنَّ الْخَوَارِجَ شَرُّ الْفِرَقِ الْمُبْتَدِعَةِ مِنَ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ"[5].

وهذا المذهب الباطل الذي يعد من أشنع ما عُرِف عن الخوارج، واشتُهروا به، ما زال أهل الإسلام معهم فيه في كبد ومكابدة حتى اليوم؛ من كلفهم بالتكفير وولعهم بإراقة الدماء، وقصدهم المسلمين بأعمال القتل، واستهداف ديارهم بالتخريب والتفجير؛ لكونهم في حكمهم مرتدين، وأرضهم أرض كفر، ودُورهم دُور حرب[6]، فهم حرب على أهل الإسلام سلم لأعدائه من كل ملة ونحلة، وهذا الوصف مما اشتركت فيه طوائف أهل البدع، مع الخوارج وخالفوا فيه أهل الإسلام، لكن الخوارج سبقوا إليه وغالوا وأوغلوا فيه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية:"...الفرْق الثاني في الخوارج وأهل البدع: أنهم يكفّرون بالذنب والسيئات، ويترتب على تكفيرهم بالذنوب؛ استحلال دماء المسلمين وأموالهم، وأن

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل (١٩٩/٥).
(٢) فتح الباري لابن حجر (٢٨٥/١٢).
(٣) مجموع الفتاوى (٤٩٧/٢٨).
(٤) عمدة القاري، العيني (١٤٣/١٦).
(٥) فتح الباري (٣٠٢/١٢).
(٦) سبق تخريجه.

دار الإسلام دار كفر، ودارهم دار إيمان..."[1]، والإسلام الذي هو دين الله تعالى الذي ارتضاه للناس كافة وجعله خاتماً للشرائع السماوية ومتمماً لمكارم الأخلاق، كان من مقاصده العظيمة حفظ الضرورات الخمس التي منها حفظ النفس البشرية، وقد اعتبر النبي ﷺ من نطق بالشهادتين والتزم بأحكام الإسلام ظاهراً مسلماً له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، ولا يجوز الحكم بكفره بلا بينة شرعية، وقد قال ﷺ:"مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ المُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلاَ تُخْفِرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ"[2]، وقد اتفق علماء أهل السنة على أن من أظهر شعار الإسلام فهو مسلم ولا يجوز البحث عن باطنه ولا اتهامه بالكفر من غير موجب ظاهر، ولا التسرع بالحكم بالكفر على أحد من المسلمين إلا لمن أظهر كفراً بواحاً فيه من الله برهان. ولا يجوز كذلك التكفير بالشبهة بل من عنده شبهة وجب أن يحاور ويناقش لتزول شبهته، فإن أصر على ذلك بعد البيان والتعريف من قبل العلماء المختصين فعندئذ يُرفع أمره للقاضي فهو المكلف بإصدار حكم التكفير أو الردة بعد التأكد من انتفاء جميع الموانع، وليس لأحد من آحاد الناس التجرؤ بإصدار أحكام الكفر على الناس لما في ذلك من استهانة بالشرع وتجرؤ على استحلال الدماء. وتكفير المسلم من أكبر الكبائر، فلا يجوز أن يكفر مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله إلا إذا ثبت جحوده لأمر معلوم من الدين بالضرورة، ولم يكن له شبهة، وأصر على جحوده، مع علمه وقصده، ومن الواجب على المسلم أن يحسن الظن بالمسلمين، فلا يحكم بكفر أحد منهم، لأن الأصل فيهم الإسلام. وقد نهى رسول الله ﷺ عن تكفير المسلم بغير حق بقوله:"أيما امرئ قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما أن كان كما قال وإلا رجعت عليه"[3]، قال ابن عبد البر:" فقد باء القائل بذنب كبير وإثم عظيم، واحتمله بقوله ذلك، وهذا غاية في التحذير من هذا القول والنهي عن أن يقال لأحد من أهل القبلة: يا كافر"[4]، وقال الإمام النووي في شرحه للحديث: هَذَا الْحَدِيثُ مِمَّا عَدَّهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مِنَ الْمُشْكِلَاتِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ ظَاهِرَهُ غَيْرُ مُرَادٍ وَذَلِكَ أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ الْمُسْلِمُ بِالْمَعَاصِي كَالْقَتْلِ وَالزِّنَا وَكَذَا قَوْلُهُ لأخيه كَافِرُ مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادِ بُطْلَانِ دِينِ الْإِسْلَامِ"[5]، وقال القرطبي:.. والحاصل أن المقول له إن كان كافراً كفراً شرعياً، فقد صدق القائل، وذهب بها المقول

(١) مجموع الفتاوى (٧٣/١٩).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر (٧٩/١).

(٤) التمهيد (٢٢/١٧).

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي (٤٩/٢).

له، وإن لم يكن رجعت للقائل معرَّة ذلك القول وإثمه"[١]، وقال ابن حجر:"والتحقيق أن الحديث سيق لزجر المسلم عن أن يقول ذلك لأخيه المسلم وذلك قبل وجود فرقة الخوارج وغيرهم"[٢]، وقال ابن دقيق العيد:"وهذا وعيد عظيم لمن كفر أحداً من المسلمين، وليس كذلك، وهي ورطة عظيمة وقع فيها خلق كثير من المتكلمين، ومن المنسوبين إلى السنة وأهل الحديث، لما اختلفوا في العقائد فغلظوا على مخالفيهم، وحكموا بكفرهم والحق أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة، إلا بإنكار متواتر من الشريعة عن صاحبها"[٣]. وقد قال الغزالي رحمه الله:"الخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم"[٤]، ولذا فإن الحكم على أحد من المسلمين بالكفر والردة، لا يكون إلا بتوافر الشروط المعتبرة شرعًا، وامتناع كل الموانع المحتملة للعذر، ولا يكون التكفير إلا لدى هيئات ذات أهلية شرعية ومكنة علمية، وهي محاكم القضاء ودوائر العدل المساندة لها الذين يتحققون مما ينسب إلى الشخص، ويتأكدون من تحقق شروط الحكم عليه وانتفاء موانعه، ويغلبون عدم التكفير في الحكم، ويسلكون في دفعه كل السبل المشروعة. لقول الرسول ﷺ: "وَلَعْنُ المُؤْمِنِ كَقَتْلِه، وَمَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِه"[٥]، ولغلظ أمر التكفير وشدة خطورته كان أصحاب النبي – ﷺ – يمتنعون عن إطلاق التكفير والتفسيق على أهل القبلة، روى ابن عبد البر عن أبي سفيان قال: "قلت لجابر: أكنتم تقولون لأحد من أهل القبلة: كافر؟ قال: لا. قلت: فمشرك؟ قال: معاذ الله وفزع"[٦]، ولما سئل علي بن أبي طالب ﷺعن أهل الجمل وصفين: أمشركون هم؟ قال: لا، من الشرك فروا. فقيل: أمنافقون؟ قال: لا، لأن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً. قيل: له فما حالهم؟ قال: إخواننا بغوا علينا"[٧]. ومما سبق يتضح أن الأصل في المسلم براءة الذمة، وأن الاعتداء عليه بتكفيره من أعظم ما توعد الله فاعله بوعيده، فقد توعده بالإثم العظيم أو الكفر، جزاء إقدامه على الوقوع في عرض أخيه المسلم.

ولذا فإن ما يقدم عليه جهلة الخوارج وسفاؤهم من تكفير المسلمين واستحلال حرماتهم بحجة الردة والكفر هو أمر مخالف لتعاليم الإسلام، حيث كَفَّروا المسلمين

---

(١) فتح الباري (١٠/٤٦٦ – ٤٦٧).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٠/٤٨١).

(٣) إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد (٦١٢).

(٤) الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي (١/١٣٥).

(٥) رواه البخاري، وسبق تخريجه

(٦) رواه ابن عبد البر في التمهيد (١٧/٢١)، وروى نحوه ا أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الإيمان (٤٧).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (١٦/٣٢٤).

بمطلق الذنوب وحكموا بردة كل من خالفهم ليستبيحوا دمه، ويستغرقوا في القتل وسفك الدماء المحرمة، وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك بقوله:"لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ"(١).

الصفة الرابعة عشرة: ركوبهم للفتن لأدنى سبب ومن غير تبصر في العواقب.

الخوارج من الفرق المنتسبة للإسلام التي ترفع شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكنهم ضلوا في فهمه وتطبيقه فأوجبوا القتال والخروج بالسيف على أئمة المسلمين وعامتهم بكل ممكن ولو لأدنى سبب لتغيير ما يدعون أنه منكرًا ولو لم يكن الأمر كذلك، وينقل الشهرستاني عنهم أنهم: "يرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقاً واجباً "(٢).

والخوارج أرادوا بإظهار هذا الجانب من الدين إشاعة أنهم هم أهل الغيرة على الدين والمدافعين عن الحق، ومن ثم حمل كافة الناس على ما ذهبوا إليه من أقوال وأفعال واعتبار كل ما لا يوافق أهوائهم منكراً تجب محاربته وأهله، وكانوا يوالون في ذلك الأمر ويعادون ويولونه عنايتهم ويتشددون فيه غايتهم ويبالغون في تطبيقه تطبيقاً كاملاً ولا يتساهلون صغر الأمر أو كبر دون هوادة ومهما كانت النتائج، ولو أدى ذلك إلى قتالهم لمخالفيهم بالسيف وخوض الحروب المتطاولة، خصوصاً إذا كان المرتكب لذلك المنكر – في نظرهم – الحاكم الذي هو إمام المسلمين ويناط به الحكم بين الناس بما أنزل الله، فإن الخروج عليه أوجب ومحاربته في نظرهم ألزم.

وقد كانت دوافع الخوارج إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دوافع دينية في ظاهرها تتمثل فيما بدا لهم أنه منكر تجب إزالته بكل ممكن ولا يسع احتماله في نظرهم وهم في غالبية ما أنكروه وأشهروا فيه سلاحهم باغون وعادون متجاوزون حدود ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه وهدي أصحابه من بعده، بل إن نافع بن الأزرق كان هو وطائفته من الخوارج يرون أن مخالفيهم كفار يجب جهادهم كجهاد الكفار الذين لم ينطقوا بكلمة الشهادة (٣).

يقول الإمام الطبري:"وكانت الخوارج يلقى بعضهم بعضاً ويتذاكرون مكان إخوانهم بالنهروان، ويرون في الإقامة الغبن والوكف وأن في جهاد أهل القبلة الفضل والأجر"(٤).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء (١/٣٥)، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب معنى لا ترجعوا بعدي كفارا.. حديث (٦٥) (١/٨١). (١٢١).

(٢) الملل والنحل (١/١١٥).

(٣) الكامل للمبرد (٢/١٧٩).

(٤) تاريخ الطبري (٥/١٧٤).

وقد بالغوا في طلب الفدا، والرغبة في الموت والاستهداف للمخاطر من غير داع شرعي يدعوا إلى ذلك، وربما كان منشؤه هوسًا عند بعضهم وفسادًا في الطبيعة والخلق لا مجرد الشجاعة أو طلب الشهادة [١].

فكانوا إذا أرادوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يستعملون في سبيل تحقيق مرادهم كل وسيلة دون النظر في مشروعيتها، ويندفعون إليه لا ينظرون إلى العواقب ولا يستثقلون المصاعب، وكانوا أشد وأقسى وأعنف ما يكون من البشر، فمتى اعتقدوا الحق في شيء عمدوا إليه بكل غلظة وفضاضة ونفذوه بالسيف وسفك الدماء، ولهذا كان تاريخهم سلسلة لا نهاية لها من الحروب والمواجهات والخروج على الأئمة، وظلوا مندفعين لهذه المذاهب الباطلة ومدافعين عن هذه الأقوال الشاذة طوال العهد الأموي وصدر الدولة العباسية حتى أبيدوا [٢].

وقد ذكر ابن القيم ــ رحمه الله ــ أن الخوارج:"أخرجت.. قتال الأئمة والخروج عليهم بالسيف في قالب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[٣]، وهذا مكمن الخلل ووجه الفساد في مذهبهم، وهو أنهم كسوا مقاصدهم المنحرفة وأفكارهم المنتكسة بأغطية شرعية تمويهًا وفسادًا فقرروا أمورًا جعلوها من المنكر ثم اندفعوا يحملون الناس على إنكارها ويقاتلون من يخالفهم فيها مستعملين في ذلك كل ما في إمكانهم من قول وفعل وعدد وعدة دون خوف أو وجل أو حساب للعواقب، أو تحكيم لعقل وشرع، أو مراعاة لحرمة أو نخوة.

إن اللوم والإنكار على الخوارج لم يكن لمجرد مناداتهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنما كان لما وقعوا فيه من ضلال في التصور لهذه الشعيرة العظيمة وجور في الأحكام وما وقع منهم تبعًا لذلك من اندفاع وتهور في حمل الناس على ما اعتقدوه وضلوا فيه وطلبهم تغيير المنكر على أية حال ودون النظر في مشروعية ما اختاروه وفي عواقب الأمور المترتبة على ما فعلوه من تحقيق لمصلحة أو دفع لمضرة، فكانوا يخرجون بالسيف على الناس لمجرد ظهور المظالم والمخالفات، ولهذا ارتكبوا أفظع الجرائم وأشنعها بحجة الإنكار، وارتكبوا من المنكرات في إزالة ما رأوه منكراً ما زاد على أضعاف ذلك المنكر الذي أنكروه، وجلبوا من الفساد فيما طلبوه من الإصلاح

---

(١) انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية (٥٧).

(٢) انظر: ضحى الإسلام (٦٧/٣).

(٣) إغاثة اللهفان (٨١/٢).

أضعاف ما حاذروه من ذلك الفساد، وهذا مما يبعد بهم عن أن يكونوا ممثلين لهدي الإسلام في الرحمة بالعباد والبلاد فيما يبتغي من إقامة تلك الشعيرة العظيمة.

الصفة الخامسة عشرة: سهولة اختراقهم واستغلالهم من قبل أعداء الإسلام.

من أوسع أبواب الفتنة التي ولج منها أعداء الإسلام للإضرار بأمة الإسلام وبذر بذور الشقاق بينها فتنة الخوارج والرافضة من خلال مظاهر الخوارج الخادعة ومظلوميات الرافضة الماكرة مع ما رفعوه من شعارات مضللة من مثل إقامة الخلافة، والجهاد، والولاء والبراء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والانتصار للمظلومين والوقوف في وجه الظالمين وهو باب فتنة فتحه هؤلاء الضالون المضلون على المسلمين منذ فجر الإسلام.

والحقيقة أن الخوارج والرافضة هما في الأصل فصيل واحد يرجع في منبته وأصل منشئه إلى دجال محتال اندس في وسط أرباب الفتنة في زمانه ممن هم على شاكلته وهواه من البغاة والغوغاء ويدعى عبد الله بن سبأ اليهودي، الذي كان من يهود صنعاء فتظاهر بالإسلام وتنقل بين الأمصار، في الحجاز والبصرة والكوفة والشام ومصر، ينشر فيها فتنته ومقالاته التي أخذها من اليهودية وكساها بأردية من دين الإسلام كالرجعة والعصمة والوصية، وأن علياً ﵁هو وصي محمد ﷺ، وكان يحرض على الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأنه يجب القيام عليه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وبقي على هذا حتى ألّب عليه أهل الأمصار فاجتمعوا عليه في المدينة المنورة وجادلوه بالباطل بخشونة ورعونة، ثم حاصروه، وقتلوه مظلوماً رضي الله عنه.

ثم انضم هؤلاء البغاة القتلة لجيش علي رضي الله عنه، وكانوا هم الغالبين على جيشه ولم يقتصر شرهم على قتل عثمان رضي الله عنه، ولا على إشعال القتال بين جيش علي، وعائشة وطلحة والزبير ﵃ أجمعين، بل تواصل شرهم وعنادهم، إذ أرغموا علياً ــ ﵁ ــ على قبول التحكيم مع جيش معاوية فلما أصروا على عنادهم وافق علي على التحكيم، ولما وقعت الهدنة ولاحت بوادر صلح بين الطرفين، عادوا وأعلنوا العصيان وأن الهدنة حرام، وأن كل من قبل بالهدنة والتحكيم والصلح كافر! فكفّروا علياً! ثم انشقوا عنه وأعلنوا لهم أميرًا قاتلوا معه علياً رضي الله عنه، ثم تآمروا على علي واغتالوه رضي الله عنه.

وهكذا آل حال هؤلاء النفر من اتباع ابن سبأ فأصبحوا فريقين: فريق نصبوا العداء لعلي ومن معه يُعرفون باسم الخوارج والمُحكّمة والحرورية، وفريق أظهروا التشيع

لعلي ومناصرته والغلو فيه، فأنكروا وفاته، ثم غلو فيه بالباطل، وأصبحوا يعرفون بالسبئية والرافضة الإمامية.

فالخوارج والرافضة من أصل واحد، وإن تشعبت بهم السبل ووقع بينهم الخلاف والقتال، فهم يجتمعون على مخالفة المسلمين والخروج عن جماعتهم وإجماعهم والوقوف مع أعدائهم، ولا يزال الخوارج والرافضة مجتمعين على هذه الأصول المنحرفة، وعلى العداء للأمة، ومحاربة وحدتها، والإسراف في سفك دمائها والتمكين لأعدائها.

لقد كان من الخوارج الأولين حفاظًا للقرآن، ويُلقبون بالقراء، ولم يمنعهم ذلك من وقوعهم في الضلال والفساد وأن يكونوا وقودًا للفتن التي يساقون إليها ويدفع بهم ليكونوا في أتونها وأدوات لها لقلة فقههم وذهاب تمييزهم وغلبة الجهل والهوى على رؤوسهم واندساس أرباب الفتنة والنفاق بين أظهرهم الذين كانوا يظهرون التقوى والورع والغلو في المظاهر ويبطنون الغش والخديعة والمروق من الملة وخيانة الأمة، ومع استحضار ما أشرنا إليه من النشأة اليهودية للخوارج والرافضة، تتأكد ضرورة عدم الانخداع بالمظاهر الخادعة التي يتلبس بها أغلب هؤلاء المبطلون من العبادة والطاعة وحفظ القرآن عن تفحص منهجهم وعقيدتهم ونشأتهم، يجب تدبر وتأمل علاقات المصالح والتخادم في الوقت الحاضر بين أصحاب الأهواء هؤلاء من الخوارج والروافض مع ما في ظاهر مذهبيهما من التعارض والتناقض التام، حتى تتضح حقيقتهم وينجلي أمرهم للمسلمين.

ومن الأمثلة المعاصرة لهذا التعاون المذموم والتخادم المشبوه بين هاذين المذهبين المتعارضين المتناقضين أنه عندما قامت جماعة من الخوارج باحتلال الحرم المكي بنهاية القرن الرابع عشر الهجري وقتل الآمنين فيه بتأويلات باطلة ومنامات شيطانية، لم يؤيد هؤلاء الخوارج إلا الرافضة والشيوعيون!!

وقد ألّف الرافضة في نصرة خروج هذه الفئة وانتهاكها للحرم المكي كتابًا بعنوان"دماء في الكعبة" أصدرته منظمة الجزيرة العربية، وأما حزب العمل الاشتراكي العربي وهو الفرع السعودي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بقيادة جورج حبش، فقد نزل شبابها للشارع للمساهمة مع الرافضة في الثورة إذا نجحت هذه الشرذمة الخارجية في مقصدها، وهذا يدل على أن هذه الفئة الجاهلة الضالة قد تم اختراقها والتغرير بها

من قبل الرافضة والشيوعيين، فالثورة لو كتب لها النجاح كانت ستؤول نتائجها للرافضة ومؤيدوهم من الشيوعيين والقوميين واليساريين، وليس لهؤلاء الضالون المغفلون [(١)].

ويكفي دليلًا على هذا الاختراق وتلك التبعية أن رسائل تلك الفئة الخارجية كانت تطبع في مطابع الطليعة اليسارية في الكويت، وبثمن بخس، وجعلوا ينشرونها سرًا وعلانية في كافة الأقطار الخليجية والعربية، وهذا يكشف إلى أي مدى كانت غفلة أولئك الخوارج الجهلة وغبائهم بحيث استعملوا وقودًا لفتنة تتعدى مقاصدهم الساذجة وإمكاناتهم المتهالكة، وكم هو خبث طوية الرافضة وعمالتهم ومن يقف خلفهم من الكفار والملاحدة والزنادقة في استخدامهم لهم لتنفيذ مخططاتهم القذرة!!

وها هي ملامح وشواهد استمرار استغلال الرافضة وأعداء الإسلام لهؤلاء الخوارج المارقين وسهولة اختراقهم من قبلهم وقبل استخبارات الدول المتنفذة في العالم اليوم ماثلة للعيان وبأوضح مثال في بلاد العراق والشام والمغرب العربي واليمن وأفغانستان وباكستان وأينما وطئت أقدامهم حتى جعلوا منهم حرابًا في صدور المسلمين وأمنة على الكافرين والمنافقين كفى الله المسلمين شرهم ورد كيدهم في نحورهم.

الصفة السادسة عشرة: لا يستقيم لهم دين ولا دنيًا.

من حقائق التاريخ التي شهد لها الحال والمقال أنه قد تقوم دول للمرجئة أو ما يشابهها من الفرق الأقل غلوًا وفسادًا في الاعتقاد والمنهج، ولكن لا تقوم في الغالب دولة مستقرة لها شأن للخوارج الغلاة ومن شابههم لأن الله يقيم الدول بالعدل والإحسان لا بالظلم والطغيان، وأكثر ظلم المرجئة في الدين وظلم الخوارج في الدين والدنيا معًا، هذه الحقيقة ذكرها العلماء وأكدوا عليها قديمًا وحديثًا والتاريخ والواقع يشهدان بصحتها وصدقها.

فبدعة الخوارج تعتبر أول بدعة حدثت في الإسلام، قال الإمام ابن تيمية: "..كان أول من فارق جماعة المسلمين من أهل البدع الخوارج المارقون..، وقد صح الحديث فيهم عن النبي ﷺ من عشرة أوجه خرجها مسلم في صحيحه، وخرج البخاري منها غير وجه. وقد قاتلهم أصحاب رسول الله ﷺ مع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ولم يختلفوا في قتالهم [(٢)].

---

(١) انظر: التنظيمات اليسارية في الجزيرة والخليج العربي، لعبد النبي العكري، ومجلة "الهدف" ومجلة "طريق الثورة" في تلك الفترة.

(٢) مجموع الفتاوى (٣/٣٤٩).

وأخبر النبي ﷺ أنهم لا يزالون يخرجون إلى آخر الزمان وبأنه لن تقوم لهم دولة وأنهم سيخرجون أكثر من عشرين مرة ويبادون حتى يكون آخرهم مع الدجال فيكونون أول أتباعه[١]، كما حذر منهم وبين حالهم وكشف عن هذه الحقيقة في شأنهم التابعي وهب بن منبه رحمه الله في نصيحته إلى شمر بن ذي خولان[٢]حيث قال: "ألا ترى يا ذا خولان أني قد أدركت صدر الإسلام فوالله ما كانت للخوارج جماعة قط إلا فرقها الله على شر حالاتهم! وما أظهر أحد منهم قوله إلا ضرب الله عنقه! وما اجتمعت الأمة على رجل قط من الخوارج! ولو أمكن الله الخوارج من رأيهم، لفسدت الأرض وقطعت السبل وقطع الحج عن بيت الله الحرام، وإذن لعاد أمر الإسلام جاهلية، حتى يعود الناس يستعينون برؤوس الجبال، كما كانوا في الجاهلية، وإذن لقام أكثر من عشرة أو عشرين رجلاً ليس منهم رجل إلا وهو يدعو إلى نفسه بالخلافة، ومع كل رجل منهم أكثر من عشرة آلاف يقاتل بعضهم بعضاً، ويشهد بعضهم على بعض بالكفر، حتى يصبح الرجل المؤمن خائفاً على نفسه ودينه ودمه وأهله وماله، لا يدري أين يسلك؟ أو مع من يكون؟ غير أن الله بحكمه وعلمه ورحمته، نظر لهذه الأمة، فأحسن النظر لهم فجمعهم وألف بين قلوبهم على رجل واحد ليس من الخوارج، فحقن الله به دماءهم وستر به عوراتهم وعورات ذراريهم، وجمع به فرقتهم وأمن به سبلهم، وقاتل به عن بيضة المسلمين عدوهم، وأقام به حدودهم، وأنصف به مظلومهم، وجاهد به ظالمهم، رحمة من الله رحمهم بها. قال الله تعالى في كتابه: (وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتْ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) (البقرة: ٢٥١)، وقال: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنْ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (آل عمران: ١٠٣)، وقال تعالى: (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ) (غافر: ٥١).

فأين هم من هذه الآية؟ فلو كانوا مؤمنين نُصِروا! وقال: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمْ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُم الْغَالِبُونَ (١٧٣) (الصافات: ١٧١-١٧٣)، ولو كانوا جند الله غلبوا ولو مرة واحدة في الإسلام! وقال الله

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) هو: شمر بن ذي الجوشن من قبيلة بني كلاب من هوازن اسمه شرحبيل بن قرط الضبابي الكلابي، وكنيته «أبو السابغة» كان ممن بايع علي بن أبي طالب وشارك في معركة صفين إلى جانبه، لكنه تمرد عليه في فتنة الخوارج، وبعد ذلك شارك في قتل الحسين بن علي، وبقي مجاهرًا ببغض علي إلى أن قتل. انظر: البداية والنهاية، ابن كثير (٢٠٥/٨).

تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنْ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) (الروم: ٤٧). فلو كانوا مؤمنين نصروا. وقال: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ)(النور:٥٥) فأين هم من هذا؟..." [١]. إلى آخر كلامه رحمه الله.

الصفة السابعة عشرة: إذا مرقوا من الإسلام لا يرجعون إليه.

في الحديث الثابت عن رسول الله ﷺ أنه قال في شأن الخوارج:"إن بعدي أو سيكون بعدي من أمتي قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حلوقهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، لا يعودون فيه، هم شرار الخلق والخليقة"[٢]، وفي رواية"يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية لا يرجعون حتى يرتد على فوقه"[٣] وقوله: يرتد على فوقه. فوق السهم: موضع الوتر منه أي: يرجع السهم موضع الوتر من السهم[٤].

وهذا تعليق بالمحال فإن ارتداد السهم على الفوق محال.

والغلو يعد من أعظم أسباب الخروج عن الدين، وقد نص على هذا جمع من أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[٥]، ومن هنا اختلف أهل العلم في تكفير الخوارج بناء على ماورد في هذا الحديث وغيره كما أسلفنا على قولين: قال القاضي عياض – رحمه الله تعالى –:" قال المازري: اختلف العلماء في تكفير الخوارج، قال: وقد كادت هذه المسألة تكون أشد إشكالًا من سائر المسائل، ولقد رأيت أبا المعالي وقد رغب إليه الفقيه عبد الحق – رحمهما الله تعالى – في الكلام عليها فرهب له من ذلك، واعتذر بأن الغلط فيها يصعب موقعه؛ لأن إدخال كافر في الملة وإخراج مسلم منها عظيم في الدين، وقد اضطرب فيها قول القاضي أبي بكر الباقلاني، وناهيك به في علم الأصول، وأشار ابن الباقلاني إلى أنها من المعوصات؛ لأن القوم لم يصرحوا بالكفر، وإنما قالوا أقوالًا تؤدي إليه"[٦]، والصحيح كما مر معنا في المبحث الذي تناولنا فيه هذه المسألة عدم

(١) سير أعلام النبلاء، للحافظ الذهبي (٤/٥٥٢).
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزكاة باب الخوارج شر الخلق والخليقة ١٠٦٧
(٣) صحيح سنن أبى داود حديث رقم (٤٧٦٥).
(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/٤٨٠).
(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٣/٢٨٣).
(٦) فتح الباري (١٢/٣١٨).

كفرهم[١]، وعليه جماهير أهل العلم وهو محل اتفاق بين الصحابة، مع اتفاقهم على قتالهم وأنهم شرار الخلق.

الصفة الثامنة عشرة: التدين بالخروج على جماعة المسلمين وعدم السمع والطاعة لولاة الأمور شق العصى والخروج على جماعة المسلمين وإمامهم، ونزع يد السمع والطاعة لمن ولاه الله أمر المسلمين في غير معصية، هذا دين الخوارج الذي توارثوه كابرًا عن كابر.

وقد سن الخوارج بهذا النهج في الإسلام سنةً سيئة إذ جعلوا الخروج على جماعة المسلمين والمشاقة لولاة الأمور دينًا يتقربون به وعقيدة يحاجون بها وغاية يبذلون فيها أرواحهم ويضحون من أجلها بالغالي والنفيس من أموالهم وأنفسهم، وهم في أغلب خروجهم ومنابذتهم لولاة الأمور لم يكونوا يروا كفراً بَواحاً منهم، وإنما ما دون ذلك من ظلم وفجور أو فسوق. ولا شك أن ما كان منهم من مسارعة للخروج والعصيان غلط وضلال وخلاف ما أمر به النبي ﷺ من الأمر بالصبر على الولاة وبالسمع والطاعة لهم بالمعروف وقال:"من رأى من أميرة شيئًا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعة"[٢]، وقال:"من أتاكم وأمركم جميع يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه كائنا من كان"[٣]، فلا يجوز لأحد أن يشق العصا أو يخرج على ولاة الأمور أو يدعوا إلى ذلك فهذا من أعظم المنكرات وأعظم أسباب الفتنة والشحناء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[٤]: «المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة، وقتالهم بالسيف، وإن كان فيهم ظلم؛ كما دلّت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي ﷺ؛ لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة، فلا يُدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما، ولعله لا يكاد يُعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته. والله تعالى لم يأمر بقتال كل ظالم، وكل باغٍ كيفما كان، ولا أمر بقتال الباغين ابتداء، بل قال: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا

(١) انظر منهاج السنة النبوية (٣/٣٩١).

(٢) صحيح البخاري الفتن (٧٠٥٤) ، صحيح مسلم الإمارة (١٨٤٩) ، مسند أحمد بن حنبل (١/٢٩٧) ، سنن الدارمي السير (٢٥١٩).

(٣) رواه مسلم في "الصحيح" (١٨٥٢) وأبو عوانة في "المسند" (٧١٤٠) والبيهقي في "السنن الكبرى" (٨/ ١٦٩) والطبراني في "الكبير" (٣٦٢).

(٤) منهاج السنة (٣/٣٩١) (٤/٥٢٧، ٥٢٩).

بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ [الحجرات: ٩]، فلم يأمر بقتال الباغية ابتداء فكيف يأمر بقتال ولاة الأمر ابتداء"[1].

وقد أجمع العلماء على وجوب طاعة الحاكم المسلم الذي وقع الاجتماعُ عليه، والحاكم المتغلب ذي الشوكة الذي استتب له الأمر وأنّ طاعتَه خيرٌ من الخروجِ عليه، لما في ذلك من حقنِ الدّماءِ وتسكينِ الدّهماءِ، ولِمَا في الخروجِ عليه من شقِّ عصا المسلمين وإراقةِ دمائِهم وذهابِ أموالِهم، فإذا استتبّ له الأمرُ، وتمّ له التّمكينُ -وإن لم يستجمعْ شروطَ الإمامة- صحّتْ إمامتُه ووجبتْ بيعتُه وطاعتُه في المعروفِ، وحَرُمَتْ منازعتُه ومعصيتُه، فأحكامُه نافذةٌ، ولا يجوز الخروجُ عليه قولاً واحدًا، وقد حكى الإجماع على ذلك الحافظُ ابن حجرٍ[2]، والنّوويُّ[3]، والشّيخُ محمّدُ بنُ عبدِ الوهّاب[4]، فمن خرج عن طاعةِ الحاكمِ الذي وقع الاجتماعُ عليه فارق الجماعةَ الذين اتّفقوا على طاعةِ الإمامِ الذي انتظم به شملُهم، واجتمعتْ به كلمتُهم، وحاطهم من عدوِّهم، فمات ميتةً جاهليّةً؛ فقد أخرج البخاريُّ ومسلمٌ في صحيحَيْهما عن ابنِ عبّاسٍ ﷺا قال: قال رسولُ الله ﷺ: "مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً"[5]، وفي لفظ:"مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئاً يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، إلاَّ مَاتَ مِيتةً جَاهِلِيَّةً"، ذلك أنّ أهلَ الجاهليّةِ لم يكنْ لهم إمامٌ يجمعهم على دينٍ، ويتألّفُهم على رأيٍ واحدٍ -كما ذكر الخطّابيُّ- بل كانوا طوائفَ شتّى وفرقًا مختلفين، آراؤُهم متناقضةٌ، وأديانُهم متباينةٌ، وذلك الذي دعا كثيرًا منهم إلى عبادةِ الأصنامِ، وطاعةِ الأزلامِ، رأيًا فاسدًا اعتقدوه في أنّ عندها خيرًا، وأنّها تملك لهم نفعًا أو تدفع عنهم ضرًّا [6].

وفي حديثِ ابنِ عبّاسٍ ﷺا المتقدّمِ، دليلٌ على تركِ الخروجِ على السّلطانِ ولو جار، فإنّ المفارقَ للجماعةِ مفارق لأسباب العصمةِ والخروجِ عن كنفِ الألفة والأمانِ، فما أعظم هلكتهِ وما أشد جرمه، وقد أمر المولى عز وجل في كتابه الكريم بلزومِ الجماعةِ ونهى عن التّفرُّقِ -وإن وقع من ولاةِ الأمورِ الظُّلمُ والحيفُ- بقوله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا) (آل عمران: ١٠٣)، قال شيخُ الإسلامِ ابنُ

(١) منهاج السنة (٣٩١/٣) (٥٢٧/٤، ٥٢٩).

(٢) انظر: فتح الباري (٧/١٣).

(٣) انظر: شرح مسلم (٢٢٩/١١).

(٤) انظر: الدرر السنية (٢٣٩/٧).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب إنكم سترون بعدي أمورا تنكرونها (٤٧/٩).

(٦) انظر: العزلة، للخطابي (٨).

تيميّةَ:"وقدّ فُسِّر حبلُه بكتابِه، وبدينِه، وبالإسلامِ، وبالإخلاصِ، وبأمرِه، وبعهدِه، وبطاعتِه، وبالجماعةِ، وهذه كلُّها منقولةٌ عن الصّحابةِ والتّابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدّينِ، وكلُّها صحيحةٌ، فإنّ القرآنَ يأمر بدينِ الإسلامِ، وذلك هو عهدُه وأمرُه وطاعتُه، والاعتصامُ به جميعًا إنّما يكون في الجماعةِ، ودينُ الإسلامِ حقيقتُه الإخلاصُ لله "[1]. وبقولِه تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ) (النساء: ٥٩)، و(أولو الأمرِ) هم الأمراءُ والولاةُ، لصحّةِ الأخبارِ عن رسولِ الله ﷺ بالأمرِ بطاعةِ الأئمّةِ والولاةِ فيما كان طاعةً لله وللمسلمين فيه مصلحة[2]، ومنها: قولُه ﷺ:"عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ إِلاَّ أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلا طَاعَةَ"[3]، ولحديثِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه أنّ النّبيَّ ﷺ قال:" لاَ طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ الله، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ"[4]. لذلك كان إحسانُ الظّنِّ بولاةِ الأمرِ مُتَحَتِّمًا. ومِنْ لوازمِ طاعتِهم: متابعتُهم في الصّومِ والفطرِ والتّضحيةِ، فيصومُ بصيامِهم في رمضانَ، ويُفْطِرُ بفطرِهم في شوّالٍ، ويضحّي بتضحيتِهم في عيدِ الأضحى ومن لوازمِ طاعتِهم -أيضًا- عدمُ إهانتِهم، وتركُ سبِّهم أو لعنِهم، والامتناعُ عنِ التّشهيرِ بعيوبِهم، سواء في الكتبِ والمصنَّفاتِ والمجلاّتِ، أو في الدّروسِ والخطبِ أو بين العامّةِ، كما ينبغي تجنُّبُ كلِّ ما يُسيءُ إليهم من قريبٍ أو من بعيدٍ، ذلك أنّ علّةَ المنعِ: تفادي الفوضى، وتركِ السّمعِ والطّاعةِ في المعروفِ، والخوضِ فيما يضرّ نتيجةَ سبِّهم وإهانتِهم، الأمرُ الذي يفتح بابَ التّأليبِ عليهم، ويجرّ من الفسادِ ولا يعود على النّاسِ إلاّ بالشّرِّ المستطيرِ، ولا شكَّ أنّ الاتّصافَ بهذا الخُلُقِ الذّميمِ مع ولاةِ الأمورِ والأئمّةِ من علاماتِ الخوارجِ، وقد جاء على لسانِ رجلٍ منهم قولُه للنّبيِّ ﷺ:"اعْدِلْ"[5]، وقال آخَرُ منهم لعثمانَ رضي الله عنه عندما دخل عليه ليَقْتُلَه:"يَا نَعْثَلْ"[6]، وإنّما أُمِرْنَا أنْ نَدْعُوَ لهم بالصّلاحِ، ونُعينَهم عليه، ولم نُؤْمَرْ أن نَدْعُوَ عليهم -وإنْ وقع منهم الْجَوْرُ والظّلْمُ-، ذلك لأنّه لا مصلحة ترجى من الدعوة عليهم، وأما الدعوة بصلاحهم ففي صلاحهم صلاح لأنْفُسهم وللأمّة كلّها، وفيه صلاح العباد والبلاد، وقد جاء عن بعضِ علماءِ السّلفِ قولُه:«إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَدْعُو عَلَى السُّلْطَانِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوَى، وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَدْعُو لِلسُّلْطَانِ بِالصَّلاَحِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ

---

(١) منهاج السنة: (١٣٤/٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٥٠٢/٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأحكام، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (٣/ ١٤٦٩).

(٤) المصدر السابق (١٢٢/١٣).

(٥) أخرجه ابن ماجة في سننه، المقدمة (٦١/١)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة (١٤٢).

(٦) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٢٨/٧) وقال رجاله رجال الصحيح غير عباد بن زاهر وهو ثقة. والنعثل: قيل هو الشيخ الأحمق. انظر: النهاية لابن الأثير (٣١٦/٧).

سُنَّةٍ -إِنْ شَاءَ اللهُ-"[1]، وكما أُمِرْنَا بأن نَدْعُوَ لهم؛ فقدْ أُمِرْنَا -أيضاً- بالنصح لهم ومناصحتهم-بقدْرِ الاستطاعة والإمكان- من غير تعنيفٍ أو تعيير أو تشهير، وإنّما يكون نصحُهم ووعظهم بالحسنى مع الصدق والإخلاص طمعًا في هدايتهم للحق والاستقامة عليه، فإنّ مناصَحَةَ أئمّةِ المسلمين منافيةٌ للغلِّ والغشِّ، كما أخبر به النّبيُّ ﷺ فيما أخرجه التّرمذيُّ وغيرُه من حديث ابنِ مسعودٍ ﷺ مرفوعًا:"ثَلاَثٌ لاَ يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قلْبُ الْمُؤمِنِ: إِخْلاَصُ الْعَمَلِ، وَالنَّصِيحَةُ لِوَلِيِّ الأَمْرِ -وفي لَفْظِ: طَاعَةُ ذَوِي الأَمْرِ-، وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ"[2].

الصفة التاسعة عشرة: الأجر العظيم لمن قتلهم أو قتلوه.

في الحديث الثابت عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺفي شأن الخوارج وقتالهم قال: قال رسول الله ﷺ: "لو يعلم الجيش الذي يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم ﷺ لاتكلوا عن العمل"[3]. وفي رواية: "من قاتلهم كان أولى بالله منهم لمأجور قاتلهم" وفي رواية: "طوبى لمن قتلهم وقتلوه" [4].

ومن حديث عبد الله بن أبي أوفى ﷺقال أبو أمامة رضي الله عنه: "شر قتلى قتلوا تحت أديم السماء وخير قتيل من قتلوه، وقال: قد كان هؤلاء مسلمين فصاروا كفاراً"[5]، وفي رواية:"فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله"[6]، وفي رواية:"لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد"[7]. وفي رواية: "قتل ثمود"، وغير ذلك من النصوص الدالة على قتلهم وفضل جهادهم.

قال أبو سعيد الخدري: "قتال الخوارج لهو أحب إليّ من قتال الديلم"[8]. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:"وقد استفاضت عن النبي ﷺ الأحاديث بقتال الخوارج، وهي متواترة عند أهل العلم بالحديث، واتفق على قتالهم سلف الأمة وأئمتها ولم يتنازعوا في قتالهم"[9].

---

(١) شرح السنة، للبربهاري (١١٣).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٣٤/٥)، وقال حديث حسن صحيح. وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٤٠٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج (٧٤٨/٢) وأبو داود (٤٧٦٧)، الشريعة للآجري (٥٣).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٢٠٤٤٦) وجوّد إسناده الألباني في ظلال الجنة (٩٣٦) والأرناؤوط في تعليقه على المسند (٩٧/٣٤).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (١٩٤١٤)، واللالكائي (٢٣١٢)، وغيرهما بإسناد صحيح حاشية المسند (١٥٦/٣٢)، وحسنه الألباني في ظلال الجنة (٩٠٦).

(٦) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم (١٠٨٦) والترمذي في سننه حديث رقم (٣٠٠٠) بإسناد حسن وحسّنه الأرناؤوط في تعليق على المسند (٥١٨/٣٦).

(٧) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٩١٠)، والنسائي في الكبرى (٢٣٧٠) وغيرهم وإسناده صحيح مجمع الزوائد (٢٣١/٦)، وحاشية أحمد (٤٥٣/٢).

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٧٩٣٨).

(٩) مجموع الفتاوى (٥١٢/٢٨).

الصفة العشرون: الطعن في العلماء وأهل الفضل والمكانة.

من العوائد المشينة والصفات المستبينة في مذهب الخوارج منذ ظهور مذهبهم وحتى يومنا هذا الاعتداء على أئمة الهدى والدين والعلماء العاملين، بالطعن فيهم واتهامهم بالزيغ والضلال أو الخيانة والانحلال ولطعنهم في العلماء أسبابًا ذكرها العلماء منها: اتباع الهوى والجهل الغالب مع غلو وغرور وحسد، والفهم الخاطئ للنصوص والأحكام، وقد حملهم كل ذلك على تتبع عورات العلماء وطلب زلاتهم، وتصيد أخطائهم، وشواذ آرائهم، وتحريف كلمهم عن مواضعه، فعلوا كل ذلك ليبرروا مواقفهم في الطعن على العلماء ومخالفتهم، وانتقاص كل من يخالف آراءهم، ولا يقر مناهجهم الحائدة عن الاعتدال، وقد حذر العلماء من مسلك الخوارج هذا لخطورته وأثره السيئ في إثارة الشقاق والفتنة بين المسلمين، يقول ابن تيمية رحمه الله وهو ينهى عن رواية الأقوال الضعيفة عن الأئمة والعلماء على وجه الإساءة والتنقص لهم أو المتابعة: "...ومثل هذه المسألة الضعيفة، ليس لأحد أن يحكيها عن إمام من أئمة المسلمين لا على وجه القدح فيه، ولا على وجه المتابعة له فيها، فإن ذلك ضرب من الطعن في الأئمة واتباع الأقوال الضعيفة"(1)، إن إثارة هذه الأقوال الضعيفة للعلماء، والتشويش بها على عامة المسلمين، والطعن بها على علمائهم ومذاهبهم من حيل أعداء الدين لتفريق المسلمين، وتشكيكهم في الحق الذي معهم وإن الذين يطعنون في علماء الأمة العاملين ويحطون من شأنهم ويزعزعون ثقة الناس فيهم يخدمون مخططات الأعداء شعروا بذلك أم لم يشعروا، وهم بمسلكهم هذا يخالفون منهج أهل السنة والجماعة الذي يؤكد على أن أئمة الهدى وعلماء الأمة الربانيين من السلف السابقين ومن بعدهم من التابعين ومن سار على نهجهم واستن بسنتهم من أهل العلم والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يذكرون إلا بالجميل من أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل القويم(2)، وإذا كانت موالاة المؤمنين من أوثق عرى الإيمان؛ فإن أحق الناس بهذا هم العلماء. قال شيخ الإسلام: " فيجب على المسلمين بعد موالاة الله ورسوله، موالاة المؤمنين، كما نطق به القرآن، خصوصًا العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم يهتدي بهم في ظلمات البر والبحر، وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، إذ كل أمة قبل مبعث محمد فعلماؤها شرارها إلا المسلمين، فإن

(١) مجموع الفتاوى (٣٢/٨٨).

(٢) انظر: شرح الطحاوية، ابن أبي العز (٤٤٥) ت. أحمد شاكر، ط جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٠٠ه، تبيين كذب المفتري، ابن عساكر (٢٨)، مصاعد النظر، البقاعي (١/١٠٨).

علماءهم خيارهم، فإنهم خلفاء الرسول في أمته، والمحيون لما مات من سنته، بهم قام الكتاب، وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا"[١]. وإن مما هو معتبر في منهج أهل الحق في مقام الحكم على الأشخاص فضلًا عن العلماء وأهل الفضل والمكانة إن الحكم عليهم إنما يكون بقدر قربهم من الحق وبكثرة الفضائل! ولا يعني ذلك بحال خلوهم من المآخذ أو عصمتهم من المعايب قال ابن القيم رحمه الله:"ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعًا أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالحة وآثار حسنة، وهو من الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور، بل مأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يُتبع فيها، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته في قلوب المسلمين"[٢]. فمن يبقى لأمة الإسلام إذا طُعن في علمائها الأبرار وقادتها الأفذاذ؟ لا شك أن من سوف يبقى بعدهم هم ممن عداهم وخالف مناهجهم من الخلوف الجهال أصحاب الأهواء المضلة والفتن المدلهمة.

لقد كان من أسوأ ما في الأمم التي ضلت ــ ممن كان قبلنا ــ علماؤهم وأحبارهم، لأنهم كانوا يحرفون الكلم عن مواضعة ويشترون بآيات الله ثمنًا قليلًا، فقال الله تعالى عنهم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ) [التوبة: ٣٤].

أما أمة محمد ﷺ فإن أفضل ما فيها علماؤها الربانيون العاملون، ويوضح هذا المعنى شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله:"قال الشعبي: كل أمة علماؤها شرارها إلا المسلمين، فإن علماءها خيارها" ثم قال ".... وذلك أن كل أمة غير المسلمين فهم ضالون، وإنما يضلهم علماؤهم، فعلماؤهم شرارهم، والمسلمون على هدى وإنما يتبين الهدى بعلمائهم، فعلماؤهم خيارهم"[٣].

فالجرأة على أكابر وعظماء الأمة، والتعالي عليهم وتخطئتهم وإظهار عيوبهم كان وما يزال من أبرز خصال الخوارج الغلاة، ومن قبل تجرأوا على سيدِ الخلق وأعدل الخلق فلن يرعوا بعد ذلك لمن دونه حرمة ولن يرقبوا في مؤمن ليس على هواهم إلا ولا ذمة.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٣٢/٢٠).

(٢) إعلام الموقعين، ابن القيم (٢٢٠/٣).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٨٤/٧).

الصفة الحادية والعشرون: سرعة الفتنة فيهم وبهم.

من صفات الخوارج الظاهرة أنهم يعجبون بأنفسهم ويغترون بها وبما يتكلفونه من أنواع العبادات والمجاهدات، وهذه المظاهر الغالية والمجاهدات العالية قد يغتر بها كثير من الناس ممن لم يخبروا أحوالهم ويطلعوا على أسرارهم، ولذلك جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال في بيان حالهم:"إن فيكم قوماً يعبدون ويدأبون حتى يعجب بهم الناس، وتعجبهم نفوسهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية "[١].

وبسبب هذه المظاهر الخادعة المشحونة بالكبر والغرور والفتنة استطاعوا أن يصلوا بخطابهم وأفكارهم إلى كثير من حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام، وممن أشربت نفوسهم الفتنة والفرقة وحب الظهور وعلى ما في المذهب الخارجي من جهالات وتناقضات، إلا أن له عبر التاريخ تأثيراً كثيراً، وانتشاراً خطيراً، ويشهد لذلك ظهورهم المتكرر وانتشار مذهبهم في كثير من الأقطار في شرق بلاد الإسلام وغربها وما لاقى أهل الإسلام منهم من ويلات وابتلاءات كانت سببًا في ضعفهم وتسلط الأعداء عليهم، ومن شواهد أثر الخطاب الخارجي وخطورته وشدة أثره وسرعة الفتنة به أن خارجياً جيء به إلى عبد الملك بن مروان فجعل يبسط له من قول الخوارج، ويزين له من مذهبهم بلسان طلق وألفاظ بينة ومعان قريبة، فقال عبد الملك بعد ذلك معرفته: لقد كاد يوقع في خاطري، أن الجنة خُلقت لهم!

ثم أمر عبد الملك بحبسه قائلًا له: لولا أن تُفسد بألفاظك أكثر رعيتي ما حبستك، ثم قال عبد الملك: من شككني ووهّمني حتى مالت بي عصمةُ الله فغير بعيد أن يستهوي من بعدي[٢].

فهذا الخليفة عبد الملك بن مروان وصاحب الرأي الحصيف والدهاء الكبير يشهد بفداحة تأثير هذا الخارجي وشدة تأثيره.

وكان لعبيد الله بن زياد صولات وجولات مع الخوارج، ودرايات بأحوالهم، وكشف شدة استمالة الخوارج للقلوب بقوله:"لكلام هؤلاء أسرع إلى القلوب من النار إلى اليَرَاع"[٣].

ثم إن أحوال الزهد ومشاهد التقشف لدى الخوارج لها أبلغ التأثير وأعظم الافتتان بهم، وقد أشار الإمام الأوزاعي إلى ذلك بقوله:"بلغني أن من ابتدع بدعةً خلّاه الشيطان

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده الحديث رقم (١٢٩٧٢).

(٢) انظر: الكامل للمبرد (١٧١/٣).

(٣) الكامل للمبرد (١٨٢/٣). واليَرَاع هو: القصب. انظر: النهاية في غريب الحديث (٢٩٥/٥).

والعبادة، وألقى عليه الخشوع والبكاء لكي يصطاد به"[١]، وقال محمد بن وضاح:"وكم من أمر هو اليوم معروف عند كثير من الناس كان منكرًا عند من مضى، وكم من متحبب إلى الله تعالى بما يبغضه الله ومتقرب إلى الله بما يبعده الله منه وكل بدعة عليها زينة وبهجة"[٢].

الصفة الثانية والعشرون: انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين.

هذا الوصف هو في أصله أثر مروي عن ابن عمر رضي الله عنهما ذكره البخاري تعليقًا على حديث في صحيحة، فقال: "باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم وقول الله تعالى (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (التوبة: ١١٥)، وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله، وقال إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين"[٣]، فأجروا عليهم أحكام الكافرين، وعاملوهم معاملة الكافرين...! وقال ابن حجر عن أصل هذا الأثر: "وصله الطبري في مسند علي من تهذيب الآثار من طريق بكير بن عبد الله بن الأشج أنه سأل نافعًا كيف كان رأي ابن عمر في الحرورية؟ قال: كان يراهم شرار خلق الله، انطلقوا إلى آيات الكفار فجعلوها في المؤمنين. قلت: وسنده صحيح"[٤]، فقد أنكر ابن عمر على الخوارج الذين أنزلوا آيات الله في غير موضعها وقصدوا بها تكفير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لأنه لم يطاوعهم في معاملة أهل الشام معاملة المشركين في الحرب مثل سبي النساء وغنم الأموال وغيرها فجعلوا ينزلون الآيات التي نزلت في أحكام قتال المشركين وأهل الكتاب على قتال البغاة من المؤمنين.

وكل من وجد في نفسه ومنهجه غلظة وشدة على المسلمين واستخفافاً بحرماتهم وحقوقهم وانشغالاً بهم عن غيرهم له حظ من هذه الصفة الخارجية المشار إليها ومنهجه هذا وغلظته مع المؤمنين مغاير لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه الكرام الذين قال الله فيهم: (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ) (الفتح: ٢٩). بينما هؤلاء الغلاة تراهم أشداء غلاظ على أئمة الدين وخيار عباد الله المؤمنين شغلهم الشاغل تتبع عوراتهم وزلاتهم والحديث عنهم بالسيء من القول والطعن والتجريح فيهم يصرفون ساعة في مواجهة المشركين وشهورًا ودهورًا في مواجهة المسلمين..

---

(١) الحوادث والبدع، للطرطوشي ص١٣٨، وينظر: الاعتصام، ت: مشهور (٢١٦/١).

(٢) البدع، لابن وضاح (١٨٦).

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم (١٦/٩).

(٤) فتح الباري (٢٨٦/١٢).

وهذا خلاف ما حذر منه النبي ﷺ بقوله: "سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر"(١). وقوله:"المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" (٢). وتبعًا لهذ المنهج الجائر والحكم الفاجر ظهر فيهم الاستهانة والاستخفاف بحرمات ودماء المسلمين ووضع السيف فيهم لا يرقبون فيهم إلًّا ولا ذمة، أو يبررون فعالهم القبيحة بذرائع واهية ودعاوى كاذبة يعمدون إليها بلا بينة ولا كتاب منير يبرر إزهاق الأنفس البريئة وإراقة الدماء المعصومة! وقد جاءت النصوص الشرعية تحذر من هذه المسالك الضالة والتصرفات الطائشة ومنها الحديث المروي عن ابن عباس ﷺا قال: نظر رسول الله ﷺ إلى الكعبة فقال:"مرحباً بك من بيتٍ، ما أعظمك وأعظم حرمتك، وللمؤمن أعظم حرمة عند الله منك؛ إن الله حرم منك واحدة، وحرم من المؤمن ثلاثاً: دَمَه، ومالَه، وأن يُظَنَّ به ظنُّ السوء"(٣).

وحديث أن رسول الله ﷺ قال:"إذا شهر المسلمُ على أخيه سلاحاً؛ فلا تزال ملائكة الله تلعنه حتى يُشيمَه عنه"(٤).

ومعنى يشيمه عنه: أي يعيده في غمده ويبعده عنه(٥)، وقال ﷺ: "إن الملائكة لتلعنُ أحدكم إذا أشار إلى أخيه بحديدة، وإن كان أخاه لأبيه وأمه"(٦)، وهذا الوعيد الشديد بحق من يشير بحديدة مجرد إشارة نحو أخيه المسلم ولو كان ذلك على وجه المزاح فكيف بمن يقصد بيوت المسلمين وطرقاتهم ومصالحهم بالمتفجرات وأدوات القتل التي تحصد العشرات من الأبرياء من المسلمين وغيرهم قبل أن تنال شيئاً ممن يجوز قصده وقتاله، وقال ﷺ: "لا يزال المؤمن في فسحة من دينه، ما لم يُصب دماً حراماً" (٧)، وقال ﷺ: "من آذى مؤمناً فلا جهاد له"(٨).

الصفة الثالثة والعشرون: يرون الحجةَ في القرآن دون السنة.

هذا الوصف ملازم لمذهب الخوارج وعامة أهل الأهواء فهم يزعمون أنهم مكتفون بالقرآن ويجعلون ذلك ديناً يتقربون به ويجادلون عليه وأما السنة فقد يستشهدون بها

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر (١٩/١)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب تفاضل الإيمان (٦٥/١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (١١/١).

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧٥/٩) (٦٢٨٠)، وضعّف إسناده العراقي في تخريج الإحياء (١١٢٤/٣)، وقال في موضع آخر (٢٢١/٢): رجاله ثقات، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٤٢٠): إسناده حسن ورجاله ثقات.

(٤) أخرجه البزار في المسند (١٠٣/٩)، حديث رقم (٣٦٤١). وقال الهيثمي: فيه سويد بن إبراهيم ضعفه النسائي، ووثقه أبو زرعة، وهو لين. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب الفتن أعاذنا الله منها، باب النهي عن حمل السلاح على المسلمين (٢٩١/٧).

(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث (٥٢١/٢).

(٦) أخرجه البيهقي في الشعب (٢٤٩/٧)، من حديث أبي هريرة، والحديث صحيح، انظر: صحيح الجامع الصغير (٣٧٢/١).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم (٦٨٦٢) كتاب الديات، باب قوله تعالى: ومن يقتل مؤمنًا...(٢/٩).

(٨) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير من حديث معاذ بن أنس، الحديث رقم (١١٣٢٤)، وأصله في المسند، حديث رقم (١٥٦٤٨) وسنن أبي داود حديث رقم (٢٦٢٩) وقال الألباني: حديث حسن. انظر: صحيح سنن أبي داود (٤٩٨/٢).

للاعتضاد لا للاعتماد إن كانت موافقة لما تهواه أنفسهم، وإن لَم توافق أهواءهم دفعوها إما بالرد أو التأويل، والخوارج في هذا من أقدم الفِرَق؛ فقد ظهروا في عصر الصحابة ﷺ وفارقوا الجماعة وخلعوا يد الطاعة، فقاتلهم الصحابة وناظروهم وحكموا بضلالهم وفساد مذهبهم.

وهؤلاء الخوارج بسبب ما أشربوه من الفتنة واتباع الهوى فيما يأخذونه أو يدعونه من أدلة الشرع جوزوا على الأنبياء الكبائر، وادعوا أن عصمة الرسول ﷺ إنما هي في تبليغ القرآن فقط، ومِن ثمَّ لا يَلتفِتون إلى السنَّة المُخالفة في رأيهم لظاهر القرآن ولو كانت مُتواتِرة؛ لذا فهم ينكرون الكثير من الاعتقادات والأحكام الثابتة بالسنة كعذاب القبر والشفاعة وبعض الغيبيات وأخبار ما يقع في الآخرة وكرجم الزاني المحصن، والحد الذي تقطع فيه يد السارق، وجلد شارب الخمر وأحكام الولاة والولاية؛ لأنهم لا يرون حجيَّة للسنَّة الصادرة عن الرسول ﷺ، وإنما الحُجَّة في مذهبهم للقرآن وحده.

وفي بيان هذا المعنى يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–"..والخوارج جوَّزوا على الرسول نفسه أن يَجور ويضلَّ في سنَّته، ولم يُوجبوا طاعته ومتابعته، وإنما صدَّقوه فيما بلغه من القرآن دون ما شرَعه مِن السنَّة التي تُخالف– بزَعمِهم– ظاهر القرآن، وغالب أهل البدع غير الخوارج يُتابعونهم في الحقيقة على هذا؛ فإنهم يَرون أن الرسول لو قال بخلاف مقالتهم لما اتَّبعوه؛ كما يُحكى عن عمرو بن عبيد في حديث الصادق المصدوق(١)، وإنما يدفعون عن نفوسهم الحجة، إما بردِّ النقل، وإما بتأويل المنقول، فيَطعنون تارةً في الإسناد، وتارةً في المتن، وإلا فهم ليسوا متَّبِعين ولا مؤتَمِّين بحقيقة السنَّة التي جاء بها الرسول، بل ولا بحقيقة القرآن"(٢).

فمَوقف الخوارج من السنة النبوية إنما هو تبع لموقفهم من الصحابة الكرام نقَلة السنَّة؛ فهم يُكفِّرون أغلب الصحابة، لا سيما عُثمان وعلي، ويَحكمون على عموم الأمة بالكفر بمطلق الذنوب، ومن هنا جاء ردهم للسنَّة؛ لأن غالب رواتها من الصحابة ليسوا عدولًا عندهم، وبناء على ذلك فهم لا يقبلون من السنة إلا القليل النادر الذي يوافق أهوائهم ويكون رواتها من المقبولين عندهم. وهذا المسلك الجائر والمذهب الفاسد قد أخبر به النبي ﷺ قبل ظهوره، وحذر أمته منه ومن دعاته كما في قوله:" ألا إني أوتيتُ

---

(١) قيل إن عمرو بن عبيد لما سمع حديث الأعمش عن ابن مسعود عن الصادق المصدوق رسول الله صلّى الله عليه وسلم: أن ملكًا موكلًا بالرحم يقول: يا رب نطفة، يا رب علقة إلى أن قال: «ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله وشقي، أو سعيد»، قال: لو سمعته من الأعمش.. لكذبته، ولو سمعته من ابن مسعود.. لما صدقته، ولو سمعته من النبي صلّى الله عليه وسلم.. لقلت: ما بهذا بعثت الرسل، ولو سمعته من الله تعالى.. لقلت: ما على هذا أخذت مواثيقنا. انظر: كتاب قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر (١٥٦/٢)، سير أعلام النبلاء (١٠٤/٦) دار الرسالة.

(٢) مجموع الفتاوى (٧٣/١٩).

الكتاب ومثله معه، ألا يُوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن؛ فما وجدتُم فيه مِن حلال فأحِلُّوه، وما وجدتم فيه مِن حرام فحرِّموه" [(١)].

وأكد على وجوب الأخذ بكل ما جاء به من الوحي من الكتاب والسنة وعدم التفريق بينهما فإنه ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "إني قد خلَّفتُ فيكم اثنين لن تضلُّوا بعدهما أبدًا؛ كتاب الله وسنَّتي، ولن يتفرَّقا حتى يَرِدا عليَّ الحوض" [(٢)]، قال ابن القيم في "إعلام الموقعين" بعد أن ذكر هذا الحديث:"فلا يَجوز التفريق بين ما جمَع الله بينهما، ويردُّ أحدهما بالآخر"[(٣)].

وما حذر منه النبي ﷺ وقع، وظهر في الأمة مارقة ضالون مستبدون لا يهتدون بهدي النبي ﷺ ولا يحتكمون لسنته مدعين كذبًا وزورًا الاكتفاء بالقرآن.

إن دعوى الاكتفاء بالقرآن الكريم والاقتصار عليه ونبذ السنة النبوية كانت السبب الأقوى في ظهور فرق الخوارج ومن شابهها من أهل الأهواء والبدع، وقد قال الإمـــام الشـــاطبي ــ رحمه الله ــ عن مذهبهم هذا:"الاقتصار على الكتاب– أي القرآن الكريم– رأي قوم لا خلاق لهم، خارجين عن الســـنة إذ عولـــوا على أن الكتاب فيه بيان كل شيء، فاطـــــرحوا أحكام السنة، فأداهم ذلك إلـــى الانخـــلاع عـــن الجماعة، وتأويل القرآن على غير ما أنزل الله فضلوا وأضلوا"[(٤)].

ولقد تابع الخوارج على هذا المذهب الباطـــل كثيـــر مـــن الرافـــضة وطوائـــف من المتكلمين والمتصوفة وقد ذكـــر الإمـــام الـــسيوطي ـــــ رحمـــه الله ـــــ أن مـــن غالية الرافضة من ذهبوا إلى إنكـــار الاحتجـــاج بالـــسنة، والاقتـــصار علـــى القـــرآن، وتحدَّث عن أصل هـــذه المقالـــة الفاســـدة، فقـــال: "وأصـــل هـــذا الـــرأي الفاســـد، أن الزنادقـــة وطائفـــة مـــن غـــلاة الرافـــضة، ذهبـــوا إلـــى إنكـــار الاحتجـــاج بالـــسنة، والاقتصار على القرآن، وهم في ذلك مختلفو المقاصـــد؛ فمـــنهم: مَـــن كـــان يعتقـــد أن النبوَّة لعليٍّ، وأن جبريل – عليه السلام – أخطأ في نزولـــه إلـــى ســـيِّد المرســـلين ﷺ تعـــالى الله عما يقوله الظالمون علوًّا كبيرًا، ومنهم مَن أقـــرَّ للنبـــي ﷺ بـــالنبوة، ولكـــن قـــال: إن الخلافة كانت حقًّا لعليّ، فلمَّا عدلَ بها الصَّحابَةُ عنه إلـــى أبـــي بكـــر رضي الله عنه أجمعـــين

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٤)، وأحمد (٤١٠/٢٨) وفي لفظ الترمذي: " ألا هل عسى رجل يَبلغه الحديث عني وهو متَّكئ على أريكته فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالاً استحللْناه، وما وجدنا فيه حرامًا حرَّمناه، وإنَّ ما حرَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرَّم الله " سنن الترمذي: حديث (٢٦٦٤) وصحَّح الألباني الحديث في صحيح الجامع (٢٦٤٣)

(٢) أخرجه البزار في مسنده (٨٩٩٣)، والحاكم في المستدرك (١٧٢/١) رقم (٣١٩)، والدارقطني: (٥٤٠/٥ رقم (٤٦٠٦).

(٣) إعلام الموقعين: (٣٠٧/٢).

(٤) الموافقات (٣٢٦/٤).

قال هؤلاء المخذولون – لعنهم الله: كفروا؛ حيث جاروا وعدلوا بالحق عن مستحقِّه، وكفَّروا – لعنهم الله – عليًّا رضي الله عنه لعدم طلبه حقَّه، فبنَوْا على ذلك ردَّ الأحاديث كلها؛ لأنها عندهم بزعمهم من رواية قوم كفار، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وهذه آراء ما كنْتُ أستحل حكايتَها، لولا ما دعتْ إليه الضرورةُ من بيان أصل هذا المذهب الفاسد، الذي كان النَّاس في راحة منه من أعصار"(١).

وقد ذكر – رحمه الله تعالى – أن "أهل هذا الرأي كانوا موجودين بكثرة في زمن الأئمة الأربعة، فمَن بعدهم، وتصدَّى الأئمة الأربعة وأصحابهم في دروسهم ومناظراتهم للرد عليهم"(٢).

الصفة الرابعة والعشرون: ليس فيهم من الصحابة ولا الأئمة والعلماء وأهل الفقه في الدين أحد.

وهذا الوصف جاء ذكره في مناظرة ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ المشهورة للخوارج، ومما قال فيها: "...أتيتكم من عند أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – المهاجرين والأنصار، ومن عند ابن عمِّ النبي – صلى الله عليه وسلم – وصهره، وعليهم نزَل القرآن، فهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم منهم أحد "(٣).

وهذه المُناظَرة فيها فوائدُ كثيرةٌ جدًّا لمَن يَتَدبَّرها، ومنها هذا الجزء الذي نقلناه، فالذين صَحِبُوا النبي – صلى الله عليه وسلم – عند أهل العلم والفقه ومنهم ابن عباس أَوْلَى بفَهْمِ الحقِّ ومعرفته من غيرهم، وهم الذين مدَحَهم الله في القرآن بقوله: (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الحشر: ٨، ٩).

فالله وصَف المهاجرين بالصدق، والأنصار بالفلاح، فكيف يخالفونهم؟ ثم مَن يناصبُونه العداء هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ابن عمِّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وزوج ابنته فاطمة التي هي بضعة منه! وهؤلاء جميعًا (المهاجرين والأنصار) هم مَن نزل

(١) مفتاح الجنة (٦).

(٢) مفتاح الجنة (٦).

(٣) أخرجها عبد الرزاق في المصنف (١٠/١٥٠، تحت رقم ١٨٦٧٨)، والنسائي، في السنن الكبرى، كتاب الخصائص، باب ذكر مناظرة عبد الله بن عباس الحرورية، واحتجاجه فيما أنكروه على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (٧/٤٨٠)، حديث رقم (٨٥٢٢)، والطبراني (١٠/٢٥٧، تحت رقم ١٠٥٩٨)، والحاكم في المستدرك (٢/١٦٤)، تحت رقم ٢٦٥٦، علوش)، وأبو نعيم في الحلية (١/٣١٩)، والبيهقي (٨/١٧٩). وأخرج قطعة منه (قصة الحديبية) أحمد في المسند (الرسالة ٥/٢٦٤، تحت رقم ٣١٨٧). والحديث صححه الحاكم، وقال: " صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه"ــ، وقال الذهبي قي التلخيص: "على شرط مسلم"، وحسن إسناد أحمد محققو المسند.

عليهم القرآن، فهم أَوْلَى من أعراب الخوارج بمعرفة تفسيره وأحكامه، ولم ينحز واحدٌ من الصحابة إلى الخوارج ولا رضوا بأفعالهم، ولا فهموا الذي فهموه من القرآن بل خطئوهم وشنعوا عليهم ووقفوا في وجوههم وجاهدوهم باللسان والسنان حتى أذعن من أذعن منهم للحق وقتل من قتل منهم على غير الهدى والرشاد.

وهكذا كان أسلاف الخوارج كما وصفهم ابن حزم بقوله:"..كانوا أعرابًا قرأوا القرآن قبل أن يتفقهوا في السنن الثابتة عن رسول الله ﷺ ولم يكن فيهم أحد من الفقهاء لا من أصحاب ابن مسعود ولا أصحاب عمر ولهذا نجدهم يكفر بعضهم بعضًا عند أقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها"[١].

ولما كان هذا حال سلف الخوارج فقد بقيت أفكارهم في اللاحقين لا يتقلدها في الغالب إلا الأغرار من الصغار والغوغاء حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام والجهال المتحمسين المتعجلين بلا حكمة ولا روية أو من في قلبه ضغن على المسلمين واجتماعهم، أو من كان من أهل الأهواء والمطامع الدنيوية من مال ورئاسة وتسلط، أما أئمة الدين وأهل السابقة من المتقين وأهل العلم والفقه والفضل من الموقنين والأحلام والنهى من المسلمين فهم بمنأى عن جهالات الخوارج وغلوهم وتعنتهم وما أشربوه من الفتنة ومفارقة الجماعة.

الصفة الخامسة والعشرون: الغاية تبرر الوسيلة عندهم. (ترك الجمع والجماعة، حلق اللحى، لبس النساء والتنكر، التعاون مع الكفرة والظلمة والمبتدعة ضد أهل السنة، التجارة في الممنوعات والتعدي على النفوس والأموال المعصومة)

من تناقضات أهل الضلال والباطل من الخوارج ومن شابههم من أهل الأهواء التي مردوا عليها وكان مردها إلى اتباعهم الظن وما تهوى الأنفس أنهم وهم ينزعون يد الطاعة ويفارقون الجماعة يظهرون ذلك في صورة الأولياء المتقين حماة الملة والدين، وحينما يتمكن فيهم الهوى ويتمادى بهم الضلال وتتأصل فيهم الفتنة فإنهم يحلون ما أبرموا من عهود ومواثيق وينتهكون الحرمات ولا يتورعون عن الوقوع في المحذورات فضلًا عن المشتبهات ويتحولون إلى ما يشبه الوحوش الضارية في أخلاقهم وأفعالهم فيستجيزون الكذب وارتكاب العظائم والمظالم وسفك الدماء المعصومة والتعدي على الحرمات المصونة أو قطع ما أمر الله به أن يوصل من حقوق الدين والرحم، كل ذلك لنصرة مذهبهم ومجاراة الظلمة من أعوانهم وكانوا للوصول إلى أطماعهم وتحقيق

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/١٢١).

غاياتهم الباطلة لا يتناهون عن منكر فعلوه حتى مع أقرب الأقربين ولو أدى بهم ذلك إلى ارتكاب أعظم الفجور والوقوع في أعمال تجر على المسلمين أعظم الشرور، ومن أفعالهم الدالة على ما ذكرنا من ضلالهم وفساد مذهبهم وسوء طويتهم ما وقعوا فيه من الأفك والتزوير على من ناصبوه العداء من الصحابة ومن بعدهم من أئمة المسلمين، ومنهم أمير المؤمنين عثمان ﷺفي فتنة خروجهم عليه الذي انتهت بقتلهم له، وأورده ابن كثير رحمه الله في كتابه البداية والنهاية قال:"قالت عائشة حين قتل عثمان: تركتموه كالثوب النقي من الدنس ثم قتلتموه. وفي رواية: ثم قربتموه ثم ذبحتموه كما يذبح الكبش؟ فقال لها مسروق: هذا عملك، أنت كتبت إلى الناس تأمريهم أن يخرجوا إليه، فقالت: لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون، ما كتبت لهم سوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا، قال الأعمش: فكانوا يرون أنه كتب على لسانها، وهذا إسناد صحيح إليها وفي هذا وأمثاله دلالة ظاهرة على أن هؤلاء الخوارج قبحهم الله، زوروا كتبًا على لسان الصحابة إلى الآفاق يحرضونهم على قتال عثمان، وابن ملجم الخارجي اغتال علي ﷺ في صلاة الفجر من رمضان وهو يقول" الحكم لله يا علي لا لك "[(١)].

ومن الصفات المشتركة بين الخوارج قديمًا وحديثًا والتي تظهر تناقضهم وفساد مذهبهم تركهم للصلاة في المساجد خلف الأئمة، بحجة أن مساجد المسلمين مساجد ضرار والدار دار شرك، وأهلها جميعًا مشركون، ولا تجوز الصلاة إلا خلف من يعرفون[(٢)]، فيصل بهم الحال من اتباع الهوى والتمادي في الإثم إلى ترك الجمعة والجماعة وهم يزعمون أنهم يحسنون صنعًا، وأنهم إنما يفعلون ذلك نصرة للدين وإقامة الشرع القويم.

وفي الزمن الحاضر وجد من الخوارج جماعات وطوائف تحرم العمل في الوظائف الحكومية وتدعوا إلى هجر المدارس والجامعات وكل أشكال التعليم والتدريب، وكذلك هجر المساجد وعدم حضور الجمع والجماعات لكونها في نظرهم مجتمعات جاهلية كافرة مرتدة[(٣)]، ومع رمي هؤلاء المنحرفون مجتمعهم بالكفر، فإنهم لم يحاولوا هدايته أو العمل على إصلاحه، بل ذهب أكثرهم إلى أنه يجب السعي في محوه والقضاء المبرم عليه، أما محاولة الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا مكان لها في مثل هذه المجتمعات، إذ إنها تتضمن الشهادة لها بالإيمان. ومن ثم اعتبروا تخريب المجتمع

(١) البداية والنهاية (٢١٨/٧).
(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (١١٦/١).
(٣) انظر: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (٨٤).

وتقويض دعائمه من الواجبات الشرعية؛ لأنه مجتمع جاهلي لا عهد له ولا ذمة ولا حرمة.

ولهذا ينسب إلى بعض هذه الجماعات أنها تستحل إتلاف ما أمكن من الأموال العامة، وإيقاع المظالم بمن خرج من جماعتهم ومحاربتهم في أرزاقهم، وإيذائهم بشتى أنواع الإيذاء، ويعدون ذلك من الغيرة على دين الله والغلظة على الكافرين والمنافقين، فأحلوا النهب والخديعة والغش والغيلة إذا كان ذلك لتقوية صفوفهم وتحطيم قوى مخالفيهم.[(١)]

الصفة السادسة والعشرون: سرعة التقلب واختلاف الرأي وتغير المواقف.

في الخوارج عواطف بلا علم وإقدام بلا حكمة، لذلك يكثر تنازعهم وافتراقهم فيما بينهم لأتفه الأمور وعند أدنى خلاف، وإذا اختلفوا تفاصلوا وتباغضوا وتقاتلوا قتالًا ساحقًا ماحقًا لا يبقي ولا يذر، ومما تنفرد به النفوس الخارجية من الصفات التي سجلها لهم التاريخ أنها نفوس مضطربة، ومولعة بالتفرق والانقسام، ومتحفزة للبراءة من كل من خالفها ولو كان مخالفهم من رؤوسهم وفي مسائل ليست من أصول الدين وقواعد الملة! وقد استحكم فيهم داء البراءة ممن يخالفهم حتى شل عقولهم، وأفسد رأيهم، وفي كتب المقالات والفرق وتاريخها نماذج وصور من أحوال الخوارج ومواقفهم تبين بجلاء ما كانوا عليه من رهق وسرعة تقلب في المواقف والأحكام وما يتبع ذلك من ظلم وبغي وعدوان بلا نص أو بينة[(٢)]، ففيها أقوال ونصوص ومواقف كثيرة للخوارج يظهر فيها تبريهم من مخالفيهم من الخوارج فضلًا عن عموم أهل الإسلام، والإغراق والمبالغة في تصنيف المسلمين وتقسيم ديارهم! فديار الخوارج وديار الموافقين لهم يسمونها دار المهاجرين! وأما المخالفون لهم فقد تكون دارهم دار بغي، أو دار توقف، أو دار تقية، أو دار كفر! وهذا الاندفاع في التبري من المخالفين عند طوائف من الخوارج قد يقابله توقف عن التبري لدى طوائف أخرى منهم، ثم يتحول هذا التقابل في المواقف والأحكام إلى انقسام لا ينتهي وخصام عدمي لا يبقي على شيء[(٣)].

وقد امتلأت صفحات تاريخهم بنماذج غريبة لعقيدتهم ومنهجهم، فهم يقيمون الدنيا ويقعدونها، ويثورون ويحجمون من أجل إثبات قضية أو نفيها، قد لا تكون ذات خطر أو شأن، لكنهم يرون أن عدم إثباتها أو نفيها كفر وضلال، فإذا ما تحقق لهم ذلك نكصوا

---

(١) انظر: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (٨٥).

(٢) انظر: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (٨٥) د. أحمد محمد أحمد جلي، مركز الملك فيصل للبحوث، الطبعة: الثالثة ٢٠٠٨م.

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين، الأشعري (١/١٧٥)، الفرق بين الفرق، البغدادي (ص٨٨)، الكامل، لابن الأثير (٤/٢٠٥).

على أعقابهم ونكسوا على رؤوسهم وقالوا: قد كنا مخطئين - بل كافرين- حين فعلنا ذلك، ثم يثورون ويشتطون أشد مما كانوا عليه في مبتدأ أمرهم من أجل إبطال ما أبرموه، والتراجع عما أثبتوه ويرون ضد ذلك كفراً!

وليس هذا فحسب، بل جرى من شأنهم أنه خلال ثوراتهم الجامحة كان ينشق عنهم بعضهم ويشتطون في التهجم على الطائفة الأصل، ويكفرونها بسبب التردد والتوقف في الأمر، أو بسبب أحد الرأيين - إما السابق - وإما اللاحق، ويحدث عندئذ أن ترد عليهم تلك الطائفة بلا تورع ناسبة الكفر إليهم، بسبب مفارقة الجماعة أو بأي سبب تراه.

وغالباً ما ينشأ من حدة هذا الخلاف فرقة ثالثة تتوسط بين الطائفتين، أو تتوقف عن كلا الرأيين، فما تلبث أن تعنف منهما، وتوصم بالكفر، لأن كلاً منهما يوجب عليها أن تكون معه وإلا فهي كافرة.. وهكذا دواليك، سلسلة من المواقف والأهواء والتعصب لها، يصاحبها سلسلة من الانشقاقات المتكررة والمفاصلات الكاملة.

ومن الأمثلة على هذا الاضطراب والتناقض وسرعة التقلب في المواقف ما يأتي:" كان رجل من الإباضية يقال له إبراهيم أفتى بأن بيعَ الإماء من مخالفيهم جائزٌ، فبرئ منه رجلٌ يقال له ميمون وممن استحل ذلك، ووقف قوم منهم، فلم يقولوا بتحليل ولا تحريم، وكتبوا يستفتون العلماء منهم في ذلك، فأفتوا بأن بيعهن حلال، وهبتهن حلال في دار التقية، ويستتاب أهل الوقف من وقفهم في ولاية إبراهيم ومن أجاز ذلك، وأن يستتاب ميمون من قوله، وأن يبرؤوا من امرأة كانت معهم وقفت فماتت قبل ورود الفتوى، وأن يُستتاب إبراهيم من عذره لأهل الوقف في جحد الولاية عنه وهو مسلم يظهر إسلامه، وأن يستتاب أهل الوقف من جحدهم البراءة عن ميمون وهو كافر يظهر كفره..."[1].

فإن مسألة بيع جارية خارجية لمخالفيهم من مسائل الفقه والفروع، لكن القوم انقسموا بسببها إلى ثلاث فرق متناحرة: إبراهيمية، وميمونية، وواقفة، ثم إن الواقفة صاروا فرقتين: ضحاكية تميل إلى مذهب الإبراهيمية، وفرقة تنسب إلى عبد الجبار بن سليمان، وهكذا يتفاقم الانقسام ومعه التكفير والتبري والتوقف.

هذه الدوامة من التبري والتوقف، يتبعها ما لا يحصى من استتابات مكررة، ومتناقضة في الوقت نفسه، وبأسلوب الوصاية والامتحان.

---

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري ١/١٨٨، ١٨٩، وينظر: الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي (١٠٨،١٠٧).

ومن الأمثلة أيضاً حادثة عجيبة لخوارج طالبوا أحدهم بالتوبة من التوبة: وذلك أنه "لما كاتب نجدةُ بن عامر ــ من رؤوس الخوارج ــ عبدَ الملك بن مروان وأعطاه الرضا، نقم عليه أصحابه فيه، فاستتابوه فأظهر التوبة فتركوا النقمة عليه والتعرض له، وندمت طائفة على هذه الاستتابة وقالوا: أخطأنا، وما كان لنا أن نستتيب الإمام، وما كان له أن يتوب باستتابتنا إياه، فتابوا من ذلك، وأظهروا الخطأ، وقالوا له: تبْ من توبتك، وإلا نبذناك، فتاب من توبته.

وفارق نجدةً أبو فديك وعطيةُ، ووثب على نجدة أبو فديك فقتله، ثم برئ أبو فديك من عطية " [١].

وهكذا كانت هذه النقمة المندفعة والاستتابة المتعجلة التي تولاها أصحاب نجدة، وألزموه بها بلا موجب أن كانت سببًا في رد فعل أعقب ذلك الاندفاع بالندم على ما حصل من توبة، وأوجبوا على نجدة التوبة من التوبة وإلا نابذوه بالسيف! ومع أن نجدة كان إماماً مطواعاً لهم في ذلك كله إلا أنه لم يسلم من حماقات أصحابه؛ إذ وثب عليه أبو فديك فقتله.

هذه البراءات المكرورة من هؤلاء الخوارج وما يصحبها من توقف وتردد واستتابة وندم تكشف عن تناقض القوم واضطرابهم، ولئن كان الخوارج قد أشربوا في قلوبهم الغلو والإصرار على أقاويلهم إلا أن التقلب بين الآراء المتقابلة والتنقل بين الأقوال المتضادة خصلةٌ لا تغادرهم ويشهد لها وقائع لا تحصى منها: ألزم الخوارجُ عليَّ بن أبي طالب ﷺ بالتحكيم في صفين، وقالوا: عليك أن تتقبله وإلا فأنت كافر، فلما وقع التحكيم قالوا: حكمت الرجال في دين الله فأنت كافر، فأنكر عليّ صنيعهم، وبيّن لهم أنه حكّم كتاب الله، فخرجوا على عليّ ونابذوه، ورغبوا أن يكون أمير المؤمنين مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه! [٢].

وأعرضوا عن مبايعة جميع الصحابة، "واختاروا عبد الله بن وهب الراسبي أعرابي بوال على عقبيه لا سابقة له، ولا صحبة، ولا فقه ولا شهد الله له بخير!"[٣]، ومن تناقضات القوم أن النجدات وهي فرقة من الخوارج قالت: لا يلزم الناس فرض الإمامة وإنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم. [٤].

(١) الملل والنحل، الشهرستاني (١٢٤/١).
(٢) انظر: تاريخ الطبري (٨٣/٥-٨٦).
(٣) الفصل في الملل، لابن حزم (١٢٢/٤).
(٤) انظر: الفصل في الملل، لابن حزم (٧٢/٤).

ثم إنك تجد الخوارج بمن فيهم النجدات من أحرص الناس على إثبات الإمامة لرؤسائهم وتسميتهم بأمير المؤمنين كما هو ظاهر في شواهد تاريخية عديدة[١]، وتمادى بعضهم فأجازوا إمامة المرأة منهم إذا قامت بأمورهم وخرجت على مخالفيهم، وزعموا أن أم شبيب كانت الإمام بعد قتل شبيب. [٢].

بل أفضى بهم الغلو في الإيمان والإمامة أن طائفة العوفية من فرقة البيهسية قالت: إذا كفر الإمامُ كفرت الرعية الغائب منهم والشاهد!، قال ابن حزم:"قالت العوفية: إن الإمام إذا قضى قضية جور وهو بخراسان أو بغيرها حيث كان من البلاد، ففي ذلك الحين نفسه يكفر هو وجميع رعيته حيث كانوا من شرق الأرض وغربها"[٣]، ومن أشد تناقضات طوائف من الخوارج أنهم مجمعون على تكفير مرتكب الكبيرة وتخليده في نار جهنم[٤]، ثم إن منهم طوائف يسلكون مسلك الإرجاء حتى سمّوا بــمرجئة الخوارج [٥].

الصفة السابعة والعشرون: الحكم على القلــوب واتهامهــا، ومنـــه الحكــم بـــاللوازم والظنون.

من أظهر سمات الضلال في منهج الخوارج مسارعتهم في الخروج على الجماعة ونزع يد الطاعة وتكفير كل من لا يرى رأيهم أو يقول بقولهم من المسلمين بالظن السيء وما تهوى الأنفس، فقد خرجوا على أمراء المؤمنين عثمان، وعلي، ومعاوية وعمر بن عبد العزيز ﷺ أجمعين.. وأعملوا في خيار الأمة وعامتها السيف، واستحلوا الحرمات والسطو وقطع الطرقات، وهكذا كانت سيرتهم مع بقية حكام بني أمية، وبني العباس، ومن بعدهم! وما نقموا من هؤلاء الأصحاب الأطهار والأئمة الأخيار إلا أمورا هم فيها محقون والخوارج فيها ظالمون باغون.

وكان من علاماتهم وسماتهم التي لا تكاد تنفك عنهم على اختلاف الأمصار وتعاقب الأعصار أن ما من حاكم مسلم يتولى الحكم أو يتقلد أمر الولاية إلا ويعاجلونه بقائمة من اللوازم والتهم القائمة على سوء الظن وخبث الطوية ثم يسارعون إلى الحكم عليه بأنه كافر أو واقع في الكفر متى ما باشر عمله في الحكم والولاية، وهي أحكام مسبقة بالكفر والمروق بلا هدى ولا كتاب منير ثم يتبعوا حكمهم الجائر هذا بما يقتضيه من الخروج، والاستعداء، وسفك الدماء وانتهاك المحارم!

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١٧٠/١)، الملل والنحل، الشهرستاني(١٢٣/١)، الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي (١٠٠، ٩٨، ٨٧، ٨٥).

(٢) أم شبيب بن يزيد الخارجي، وتنسب إلى شبيب طائفة الشبيبية من الخوارج. انظر: مقالات الإسلاميين (٢٠٢/١)، والفرق بين الفرق (٨٩، ٩١، ٩٢).

(٣) الفصل في الملل، ابن حزم (١٤٥/٤)، وانظر: الملل والنحل، الشهرستاني (١٢٦/١)، والفرق بين الفرق (١٠٩).

(٤) خالف هذا الإجماع النجدات، انظر: مقالات الإسلاميين (١٦٨/١).

(٥) هم فرقة الشبيبية، انظر: الملل والنحل، الشهرستاني (١٢٨/١)، والفرق بين الفرق (٨٩).

إنهم لا يُحسنون الظن في أحد ومن ثم لم يحسنوا النظر للأشياء والأحداث من جميع جوانبها فيعرفوا جوانب الخير فيطلبوها، ويعلموا جوانب الشر فيحذروها ثم يوازنوا بين الأمور ليرجحوا أي المصالح أقرب وأي المفاسد أخطر فيختارون خير الخيرين ويدفعون شر الشرين، ولكن هذا الإنصاف لا يعرفونه، ولا يُطيقونه وإنما يكون استغراقهم فقط فيما لا يوافق أهوائهم ويحقق أطماعهم من الأمور فيرتبون عليها أحكامًا جائرة ومواقف ظالمة!

وفي هذا المعنى يقول عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ: "الخوارج.. هم أول من كفّر أهل القبلة بالذنوب، بل بما يرونه هم من الذنوب، واستحلوا دماء أهل القبلة بذلك ... فقال هؤلاء: ما الناس إلا مؤمن أو كافر، والمؤمن من فعل جميع الواجبات وترك جميع المحرمات؛ فمن لم يكن كذلك فهو كافر مخلد في النار، ثم جعلوا كل من خالف قولهم كذلك"[١]، وقال أيضًا: "والخوارج هم أول من كفر المسلمين، يكفرون بالذنوب، ويكفرون من خالفهم في بدعتهم، ويستحلون دمه وماله"[٢].

إن كل من يسارع في تكفير المسلمين بالظن السيء والشبهات وما تهواه نفسه من الأمور المحتملة وبما يسوغ فيه الخلاف والاجتهاد، أو بما يراه ذنباً وإن لم يكن في شرع الله ذنباً ويكون ذلك ديدنه ومنهجه مع مخالفيه ففيه شبه من الخوارج في مذهبهم ومنهجهم في التكفير والبراءة وربما قد فاقهم سوءاً وغلواً، وليس من شرط وقوعه في هذا البلاء أن يصرح بأنه على قول الخوارج في تكفير العصاة من أهل القبلة إذا هو قد كفّر غيره لمجرد خلافات في مسائل وأمور المجتهد فيها يدور حاله بين الأجر إن أخطأ والأجرين إن أصاب.

ومن علامات الخوارج ومن وافقهم في الضلال أنهم إن رأوا حسنة عند مخالفهم من أهل القبلة غمطوها وأخفوها ولم يذكروها، ثم سارعوا في المقابل إلى إسقاطه ورميه بالكفر والنفاق والعمالة والخيانة والعداوة لله ولرسوله وللمؤمنين من غير بينة، ويشككون بصدق نيته وولائه وانتمائه، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:"من دعا رجلاً بالكفر أو قال: عدو الله، وليس كذلك، إلا حار عليه"[٣].

ومن علاماتهم كذلك، أنهم في خطابهم ومواقفهم كثير ما يُضخمون صغائر الذنوب وما يسوغ فيه النظر والاجتهاد والاختلاف مما يخالف أهوائهم وشبهاتهم ولوازمهم

---

(١) مجموع الفتاوى (٤٨١/٧).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٧٩/٣).
(٣) سبق تخريجه.

الباطلة وجهالاتهم حتى تُرى في أعينهم وأعين الجهلة من العوام أنها من الكبائر، والعظائم، والكفر البواح لينتقلوا بعدها لمرحلة التكفير ومن ثم استباحة الدماء والحرمات التي جاء الشرع الحنيف بحمايتها وتعظيم شأنها.

الصفة الثامنة والعشرون: الحكم على بلاد المسلمين بأنها بلاد كفرٍ وردة، وإيجاب الهجرة منها إلى مناطق سيطرتهم ونفوذهم.

الخوارج منذ ظهورهم في صدر الإسلام الأول كان من أول ما شذوا به وابتدعوه أنهم فارقوا جماعة المسلمين، وخرجوا على الأئمة المتبوعين، وهم باقون على هذا الضلال في جميع الأعصار وكافة الأمصار، ويعتقدون أن هذا قربة لله ودين يتدينون به، ومن ضلالهم أنهم يرون أن من لا يوافقهم على باطلهم هذا ومن لا ينظم إلى جماعتهم فهو كافر مرتد لا حرمة له ولا عهد.

وقد جعل نافع بن الأزرق ــ أحد رؤوسهم في القرن الأول ــ مكان مهاجره هو وقومه –من الخوارج–؛ بمنـزلة المهاجرين إلى المدينة، وأنه لا يسع أحداً من المسلمين، التّخلف عن الهجرة إليه. بل إنه بعد إيجابه الهجرة إليه، جعل من لم يهاجر إليه مشركاً؛ ولو كان على رأيه[١].

وفي العصر الحديث والواقع المعاصر وقع الغلوُّ والانحراف في هذا الجانب من كثير من جماعات الغلو والتكفير التي ظهرت في عموم بلاد المسلمين ومنها بلاد الشام والعراق واليمن وشمال أفريقيا في مسائلَ عديدةٍ تتعلّق بالحكم على الديار وساكنيها من المسلمين وغيرهم: منها اعتبارُ جميع ديار الأرض–إلا الأراضي التي تغلّب هؤلاء الغلاة عليهاــ ديارَ كفرٍ وحربٍ حتى مكّة والمدينة، وإعلانُ القتال على جميع بلاد المسلمين باعتبارها ديارَ كفرٍ وردّة، مع تكفير حكوماتها، وجيوشها، وجميع من يعمل فيها، ومَن يرضى بها، وإيجاب حمل السّلاح لمواجهتها وحربها على كلّ قادرٍ داخلَها وخارجَها، ثمّ زادوا على ذلك فلم يعتبروا شروط الاستطاعة والقدرة، في وجوب القيام بهذا الأمر المتحتم. ومنها فرضُ الهجرة على مَن كان خارجَ مناطق نفوذهم إلى مناطقهم التي يسيطرون عليها، مع أنّ الهجرةَ لا تجب على مَن يعيش في بلاد الكفار إلا في حالاتٍ معينة بضوابطها المذكورة في كتب الفقه[٢].

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري (١/١٦٩، ١٧٣).

(٢) انظر: المغني، ابن قدامة (٩/٢٣٦)، مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين" (٣/٢٥-٢٦).

ومنها زعمهم أنّ مِن أوجب الواجبات إقامةَ إمارةٍ إسلامية على أيٍّ جزءٍ مِن الأرض لتكون هي دارَ الإسلام التي لا وجود لها ــ في اعتقادهم ــ على ظهر الأرض اليوم؛ لكي تطبّقَ فيها الشّريعة، وينفر إليها المهاجرون، ومنها تخرج الجيوش وتفتح الأرض بعد ظلام الجاهلية وتكون البداءة في الجهاد ببلاد الرّدة بلاد المسلمين وبعد ذلك يتوجه لبلاد الكفار الأصليين.

ومنها استحلالُ الدّماء والأموال المعصومة والتّهاون بقتل المسلمين بحجّة التترّس تارةً، ولمصلحة الجهاد تارةً أخرى، وتجويزُ قصد عامة المسلمين وخاصتهم بالقتل؛ لحكمهم بكفرهم وردّتهم بدعاوى مظاهرة الحكّام الظالمين والتعاون مع المرتدين، وحثّهم على الغدر بالآمنين، والخيانة لأولي الأمر وقادة المسلمين[1].

ومنها استباحةُ دماء المعاهدين مِن الذّمّيين والمستأمنين بحجّة عدمِ صحّة عقد الذمّة أو الأمان لهم مِن الحكومات القائمة بالآمر؛ لأنها كفرية طاغوتيه بزعمهم[2].

---

(١) انظر: بحث (مسألة التترس وشبهة التطبيق عند الجماعات المتطرفة). د فراج محمد فراج رداس المطيري. مؤتمر نقض شبهات التطرف والتكفير، دار الإفتاء الأردنية.

(٢) انظر: الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها، غالب عواجي (٥١٠).

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الأمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد فهذه بعض أهم النتائج التي يمكن تسجيلها في نهاية هذا البحث على النحو الآتي:

١ـ لم يأتِ في السُّنَّةِ النبويَّةِ تحذيرٌ من فِرقةٍ بعينِها من فِرَقِ هذه الأمَّةِ إلَّا الخوارجَ، فقد ورَدَ فيها أكثَرُ من عِشرينَ حديثًا بسنَدٍ صحيحٍ، أو حسَنٍ، وما ذلك إلَّا لضَرَرِهم الجَسيمِ على الأمَّةِ، والتباسِ أمرِهم على الناسِ واغترارِهم بهم؛ إذْ ظاهِرُهم الصَّلاحُ والتَّقوى، ولأنَّ مَذهبَهم ليس قاصرًا على الآراءِ والأفكارِ، بل يتعدَّى ذلك إلى سَفْكِ الدِّماءِ.

٢ـ التَّكفيرُ واستباحةُ الدِّماءِ هي الصفةُ الفارقةُ لهم عن غيرِهم؛ التكفيرُ بغيرِ حَقٍّ، واستباحةُ دِماءِ المخالِفينَ لهم، كما قال عنهمُ النبيُّ ﷺ: "يَقْتُلون أَهْلَ الإسلامِ ويَدَعونَ أَهْلَ الأَوْثانِ".

- ذكر أهل البدع بما فيهم من الخير ليس تزكية لهم.
- كثرة الأعمال ليست دليلًا على صحة العمل.

٣. إذا اجتمعت صفتان حميدة وذميمة في الشخص أو الجماعة أو الأمة، تذكر الصفتان معًا في حال الحذر، وهذا فوق كونه في غاية الإنصاف فإنه مفيد لتبيان أمر المحذور منه حتى لا يختلط أمره على الناس فينظروا إلى الصفة المحمودة لتحجب عنهم الصفة المذمومة فيهلكوا في المتابعة عليه في أمره كله.

٤. ما ذكره كثير من العلماء من أن مذهب الخوارج (تكفير مرتكب الكبيرة)، ليس وصفاً جامعاً لكل "الخوارج"، وليس شرطًا للوصف بالخروج، بل يدخل في الخوارج كل من يكفّر المسلمين بغير حق، ويستحل دماءهم ولو لم يعتقد كفر مرتكبِ الكبائر، فالذي جاء في الوصف النبوي أنهم (يقتلون أهل الإسلام)، وذكر أهل العلم أن سبب هذا القتل هو: الحكم بالكفر والردة على مخالفيهم.

٥.الخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لم يكونوا ممن يعتقد القول بكفر مرتكب الكبائر كالزنا والسرقة وشرب الخمر، وإنّما كفّروا الصحابة بقبول التحكيم، مع أنه ليس بذنبٍ أصلاً، فكفروا عليًا ومعاوية رضي الله عنهما والحكَمين، ومَن رضي بالتّحكيم، واستحلوا دماءهم، فحكم

عليهم الصّحابةُ –ﷺ– بأنهم الخوارج الذين أخبر عنهم النّبي –ﷺ– لفعلهم هذا، ولم يسألوهم عن مذهبهم في بقية الذّنوب، وهل يكفّرون بها أم لا.

٦ـ الوصف الجامع للخوارج هو "تكفير المسلمين بغير حق واستحلال دمائهم بذلك"، وهذا التكفير له صور كثيرة: كتكفير مرتكب الكبيرة أو بمطلق الذنوب، أو التكفير بما ليس بذنب أصلاً، أو التكفير بالظن والشّبهات والأمور المحتملة، أو بالأمور التي يسوغ فيها الخلاف والاجتهاد، أو دون التّحقق من توفر الشروط وانتفاء الموانع.

٧ـ لم يرد في النصوص الشرعية ما يدل على اشتراط (الخروج على الإمام المسلم) للوصف بالخروج، بل كل من كان على معتقدهم ومنهجهم فهو من الخوارج سواء خرج على الإمام أم لم يخرج.

٨ـ (الخروج على الأئمة) عند الخوارج نتج عن التكفير بغير حق واستباحة دماء المسلمين، فإن وجدَ الخوارج الإمام خرجوا عليه واستباحوا الدماء والأموال، وإن لم يجدوا الإمام استباحوا دماء عامة المسلمين وخيارهم من المجاهدين والعلماء والدعاة، وتسميتهم بـــ "الخوارج" إنما لخروجهم عن أحكام الدين ومفارقتهم جماعة المسلمين.

٩ـ من أبرز صفاتهم التي يحكم على المتصف بها أنه من الخوارج: الخروج على جماعة المسلمين وسلطانهم، وتكفير مرتكب الكبيرة. وهناك صفات أخرى شاركهم فيها غيرهم مثل الجهل، وكثرة العبادة، وتلاوة القرآن من غير فهم. فكثير من جهال الأمة العباد فيه شيء من هذا، ولا يحكم عليه بأنه خارجي.

١٠ـ ليس كل من خرج على الإمام الحق أو ولي الأمر المسلم يكون خارجياً بإطلاق، بل قد يكون باغياً له تأويله ويُقاتَل حتى يفيء إلى أمر الله جل وعلا، وقد يكون خارجياً له أحكام الخوارج وهم الذين يخرجون على الإمام لأجل كونه كافر في نظرهم حلال الدم والمال.

قائمة المراجع:

١. الإبانة الكبرى لابن بطة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان، تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، د.ت.

٢. إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام، محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القشيري القوصي، أبو الفتح تقي الدين، المعروف بابن دقيق العيد ، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

٣. الآداب الشرعية والمنح المرعية، محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الرامينى ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ)، عالم الكتب، د.ت.

٤. الاستقامة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ه.

٥. الاعْتِصَام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ) تحقيق ودراسة: الجزء الأول: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير الجزء الثاني: د سعد بن عبد الله آل حميد الجزء الثالث: د هشام بن إسماعيل الصيني، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

٦. إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

٧. الإفصاح عن معاني الصحاح، يحيى بن (هُبَيْرَة بن) محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، أبو المظفر، عون الدين (المتوفى: ٥٦٠هـ)، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، ١٤١٧هـ.

٨. الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م.

٩. أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي (٣٥٥ – ٤٣٦ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه)، الطبعة: الأولى، ١٣٧٣ هـ – ١٩٥٤م.

١٠. إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين اليمني (المتوفى: ٨٤٠هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٧م.

١١. الإيمان "ومعالمه، وسننه، واستكماله، ودرجاته"، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

١٢. بحث (مسألة التترس وشبهة التطبيق عند الجماعات المتطرفة). د فراج محمد فراج رداس المطيري. مؤتمر نقض شبهات التطرف والتكفير، دار الإفتاء الأردنية، د.ت.

١٣. البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، (ط:١)، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

١٤. البدع والنهي عنها، أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بزيع المرواني القرطبي (المتوفى: ٢٨٦هـ)، تحقيق ودراسة: عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة– مصر، مكتبة العلم، جدة – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ.

١٥. تاج العروس من جواهر القاموس، أبو الفيض، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ت.

١٦. تاريخ الطبري، الموسوم: تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، الطبري (ت٣١٠هـ)، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، ت٣٦٩هـ)، دار التراث – بيروت، (ط:٢)– ١٣٨٧هـ.

١٧. تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.

١٨. تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت٥٧١هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، (ط:٣)، ١٤٠٤ه.

١٩. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، (ط:٢) ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٢٠. تلبيس إبليس، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتــوفى: ٥٩٧هــ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيرزت، لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هــ/ ٢٠٠١م.
٢١. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هــ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغــرب، عــام النشر: ١٣٨٧ هــ.
٢٢. التنظيمات اليسارية في الجزيرة والخليج العربي، عبد النبي العكري، دار الكنوز الأدبية، لبنان، د.ت.
٢٣. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (تــــ٣٧٠هــ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ط:١)، ٢٠٠١م.
٢٤. التواضع والخمول، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هــ) تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ – ١٩٨٩م.
٢٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هــ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحــسن التركــي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة.
٢٦. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، (ط:١)، ١٤٢٢هــ.
٢٧. حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتــوفى: ١١٣٨هـــــ)، دار الجيــل – بيروت، بدون طبعة.
٢٨. حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتــوفى: ١١٣٨هـــــ)، دار الجيــل – بيروت، بدون طبعة.
٢٩. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هــ)، السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هــ

– ١٩٧٤م، ثم صورتها عدة دور منها، ١ – دار الكتاب العربي – بيروت، ٢ – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٣– دار الكتب العلمية– بيروت (طبعة ١٤٠٩هـ بدون تحقيق).

٣٠. الحوادث والبدع، محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشى الفهرى الأندلسي، أبو بكر الطرطوشى المالكي (المتوفى: ٥٢٠هـ)، تحقيق: علي بن حسن الحلبي، دار ابن الجوزي، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.

٣١. الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ.

٣٢. الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها، غالب عواجي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ.

٣٣. الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، عبد القادر شيبة الحمد، الطبعة الرابعة، ١٤٣٣ – ٢٠١٢م.

٣٤. درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية،١٤١١ هـ–١٩٩١م.

٣٥. دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، عرفان عبد الحميد، مطبعة الإرشاد، بغداد تاريخ النشر: ١٩٦٧م.

٣٦. دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين د. أحمد محمد احمد جلي، مركز الملك فيصل للبحوث، الطبعة: الثالثة ٢٠٠٨م.

٣٧. الدرر السنية في الأجوبة النجدية، علماء نجد الأعلام، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة: السادسة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٣٨. روضة الطالبين وعمدة المفتين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت– دمشق– عمان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

٣٩. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، (ط:١)، (لمكتبة المعارف).

٤٠. السنة، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ه.

٤١. السنة، أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانيّ البغدادي (ت٢٩٠هـ)، تحقيق: محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، دار ابن القيم – الدمام، (ط:١)، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م.

٤٢. السنة، أبو بكر أحمد بن محمد الخَلَّال البغدادي الحنبلي (ت٣١١هـ) تحقيق: عطية الزهراني، دار الراية – الرياض (ط:١)، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.

٤٣. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِسْتاني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

٤٤. سنن الترمذي، محمد بن عيسى، الترمذي، (ت٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض (جـ ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر (ط:٢)، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م.

٤٥. سنن الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م.

٤٦. سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي. دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى،١٤٠٧ه.

٤٧. السنن الصغرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

٤٨. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م.

٤٩. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، (ط:٣)، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٥٠. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (ت ٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد الغامدي، دار طيبة – السعودية، (ط:٨)، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

٥١. شرح السنة، الحسن بن علي بن خلف البربهاري أبو محمد، تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني، دار ابن القيم – الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ ه.

٥٢. شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت، (ط:٢)، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٥٣. شرح الطحاوية، علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة الإرشاد، الرياض، ١٤١٨هـ.

٥٤. شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.

٥٥. الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن – الرياض / السعودية (ط:٢)، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.

٥٦. شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.

٥٧. شعراء الخوارج، د.إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، الثالثة،١٩٧٤م.

٥٨. صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي.

٥٩. صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، مع الكتاب: أحكام محمد ناصر الدين الألباني، هذا الكتاب الإلكتروني، يمثل جميع أحاديث الجامع الصغير وزيادته للسيوطي، مع حكم الشيخ ناصر

من صحيح أو ضعيف الجامع الصغير، وهو متن مرتبط بشرحه، من فيض القدير للمناوي.

٦٠. صحيح وضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

٦١. ضحى الإسلام، أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة السابعة، د.ت.

٦٢. ظاهرة الغلو في الدين، د. علي بن محمد الفقيهي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

٦٣. العزلة، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، المطبعة السلفية – القاهرة، الطبعة: الثانية،١٣٩٩ هـ.

٦٤. العقد الفريد، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.

٦٥. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٦٦. عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، دار الكتب العلمية –بيروت، ١٤١٨ هـ .

٦٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٦٨. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.

٦٩. فجر الإسلام، أحمد أمين، دار الكتب العلمية، د.ت.

٧٠. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (ت٤٢٩هـ)، دار الآفاق الجديدة – بيروت، (ط:٢)، ١٩٧٧م.

٧١. الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي – القاهرة، د.ت.

٧٢. الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري (المتوفى: ١٣٦٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م.

٧٣. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦ه.

٧٤. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم، العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٧٥. قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة، الهِجراني الحضرمي الشافعي (٨٧٠ – ٩٤٧ هـ)، عُني به: بو جمعة مكري / خالد زواري، دار المنهاج – جدة، الطبعة: الأولى،١٤٢٨ هـ– ٢٠٠٨ م.

٧٦. الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، (ط:١)، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

٧٧. الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م.

٧٨. الكبائر، تنسب لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، دار الندوة الجديدة – بيروت.

٧٩. كتاب السنة (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم: محمد ناصر الدين الألباني)، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م

٨٠. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (المتوفى: ٩٧٥هـ)، تحقيق: بكري حياني – صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٨١. لباب الآداب، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م.

٨٢. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، (ط:٣) – ١٤١٤هـ.

٨٣. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٨٤. مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٨٥. مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.

٨٦. مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن – دار الثريا، الطبعة: الأخيرة – ١٤١٣ هـ.

٨٧. مجموعة الرسائل والمسائل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى ٧٢٨هـ)، تحقيق: السيد محمد رشيد رضا – محمد الأنور أحمد البلتاجي، مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

٨٨. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت – لبنان، (ط:١)، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

٨٩. المستدرك على الصحيحين، الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (٤٠٥ هـ)، دار المعرفة – بيروت بإشراف: د. يوسف المرعشلي.

٩٠. مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (ت٢٠٤هـ)، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر – مصر، (ط:١)، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩م.
٩١. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، (ط:١)، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
٩٢. مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).
٩٣. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٩٤. مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ، ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى"، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧م.
٩٥. المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ه.
٩٦. المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي- الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ه.
٩٧. معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، (ط:٢)، ١٩٩٥م.
٩٨. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، د.ت.

٩٩. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة(إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة، طبعة ١٩٨٠م .

١٠٠. المغني، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الشهير (المتوفى: ٦٢٠هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي – عبد الفتاح الحلو، الناشر، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٧ – ١٩٩٧م.

١٠١. مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

١٠٢. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٥٧٨ – ٦٥٦ هـ)، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو – أحمد محمد السيد – يوسف علي بديوي – محمود إبراهيم بزال، (دار ابن كثير، دمشق – بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق – بيروت)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦م.

١٠٣. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري (ت٣٢٤هـ)، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، (ط:١)، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

١٠٤. الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (ت٥٤٨هـ)، مؤسسة الحلبي، د.ت.

١٠٥. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (ط:١)، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م.

١٠٦. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ه.

١٠٧. الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١٠٨. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، (ط:٤)، ١٤٢٠هـ.

١٠٩. النبوات، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، المطبعة السلفية – القاهرة، ١٣٨٦ه.
١١٠. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ود/ محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
١١١. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت.